

obeikandi.com

عبرالفتوان

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



طبع . نشر . توزيع  
دارالرساله للنشر والتوزيع ، ص.ب. ٣٩٢٦١٥ - ٢٩٢٦١٥

# عصر الفتوان

عصر البطولة للمصريين أيام الاحتلال  
والوزراء والباشوات

دكتور حسين مؤنس

obeikandi.com

## مقدمة الرواية

الفتونة : عمل عرفته مصر من منتصف العصر التركي ، فإن الأتراك كانوا يعهدون في حكومة مصر إلى ممالك يؤدون لهم مالاً معيناً كل سنة ، ثم يتصرف الممالك في مصر بعد ذلك كما يريدون ومعنى ذلك أن أولئك الممالك كانوا يشترون مصر من الأتراك .

ولم يكن أولئك الممالك يشبهون رجال عصر الممالك الكبير ، فقد كان ممالك العصر المملوكي الكبير بقسميه : البحرية والبرجية أمراء مثقفين عندهم شهامة وبسالة ، وكان لهم فخر بمصر واعتزاز بها إلى جانب إيمانهم الديني العظيم ، وما من أمير مملوكي إلا بنى مسجداً عظيماً تفخر به مصر إلى اليوم ، وكانوا ينفقون في إنشاء هذه المساجد خيرة أموالهم ، وأمامك مساجد الغورية والجمالية وسيدنا الحسين ، وكلها تحف معمارية تكلفت عشرات الألوف من الدنانير ، ولكن الممالك كانوا كرماء ، وكانوا مؤمنين بالله ، وكانوا يحبون الفن وينفقون خير أموالهم في الأعمال الفنية ، ولم تقتصر تلك الأعمال الفنية القيمة على المساجد ، بل أنفقوا أيضاً على الكتابات ، ولا زالت بين أيدينا تحف خطية أنفق عليها الممالك مالاً ضخماً وهي غاية في الجمال ، وبعضها مصاحف كاملة .

أما ممالك العصر التركي فكانوا بقايا ممالك ، كانوا بكوات

أقرب إلى الفقر منهم إلى الغنى ، ولم تكن لهم حكومات ، أى أن الناس العاديين فى القاهرة والإسكندرية وكبار المدن والأرياف لم يكن هناك من يحميهم من المماليك أو من أمثالهم .

وهنا ظهر الفتوات ، وهم مصريون أصلاء فيهم شجاعة وبسالة ، فكانوا ينشئون فرقاً من المقاتلين ، ويتولون حماية التجار وأهل الأموال ، بل أهل الشوارع والحوارى ، وكانوا يجمعون أموالاً ويستطيعون مواجهة المماليك ، وشيئاً فشيئاً أصبحوا قوة فعلية فى البلد . كانوا يحمون التجار لقاء مال ، وكانت لهم شبه جيوش صغيرة ، لأنهم كانوا رجالاً شجعاناً يستطيعون خوض المعارك وكسبها .

ولم يكن الفتوات لصوصاً وإن كان بعضهم اتجه إلى اللصوصية ، ولكن هؤلاء لم يكونوا يستطيعون الاستمرار فى العمل لأن الفتوة الأصيل لابد أن يكون رجلاً شجاعاً بأسلاً ، وكان الفتوات يخوضون المعارك ويكسبونها ، وكان المماليك يستعينون بهم ، لأن المماليك فى العصر العثمانى لم تكن لهم قوات عسكرية ، وكان من السهل على أى فتوة مواجهتهم ، ولهذا كان المصريون يميلون إلى الفتوات ، لأنهم مصريون أساساً ويعتمدون عليهم ، وشيئاً فشيئاً أصبحت الفتوة جزءاً من النظام العام فى البلد ، وأصبح لكل حى من أحياء القاهرة فتوة ، ولكل مدينة فى الوجه

البحرى أو القبلى فتوات ، وكانت المعارك مستمرة بين بكوات الممالك وفتوات المصريين .

وعندما انتهى العصر التركى وقامت حكومة محمد على فى مصر رأى هذا الرجل أن يعتمد على الفتوات ، فهم رجال أقوياء ولهم قوات عسكرية معقولة ، وسار التعاون بين الجانبين فى طريقه حتى جاء عصر الاحتلال الإنجليزى . وفى أول الأمر ترك الإنجليز الفتوات - أول الأمر على حالهم ماداموا لا يعترضون على الاحتلال ، ولكن عندما شرعوا فى بناء البوليس فى مصر بدأ النزاع بين الجانبين . وكلما قوى البوليس ضعف أمر الفتوات حتى قامت الحركة القومية المصرية وثورة سنة ١٩١٩ - انضم الفتوات إلى حزب الوفد ، وشيئاً فشيئاً - ومع زيادة قوة البوليس - أخذ الفتوات يختفون حتى انتهى ذلك النظام نهائياً خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن .

وأصل الفتونة عربى ، فهو نظام رياضى أسسه بعض الخلفاء فى العصر العباسى الثانى لتقوية الشعب وحماية الناس من اللصوص والخارجين على القانون ، وقد اشتهر الخليفة الناصر العباسى باهتمامه الكبير بالفتونة ، فقد جعل نفسه كبير الفتوات ، وجعل للفتونة ملابس خاصة ونظماً واسع المدى ، فانتشرت فى العالم الإسلامى كله واشتهر أمرها ، ومن هنا عرفت مصر هذا

النظام ، واتسع مداه فيها .



وفي هذه القصة التي حكاها لي أحد الفتوات في ظروف سيرد ذكرها في الكلام ، نرى كيف كان الفتوة يعمل ، وكيف يدخل عالم الفتوات ، ونرى أيضاً كيف انتهى عصر الفتوات .

وهذه المقدمة ليست إلا تعريفاً يسيراً بالفتونة وتطور نظامها ، ولا شك في أننا نحتاج إلى دراسة هذا النظام وتاريخه وتطوره ، وأرجو أن ينظر في ذلك أحد المتخصصين في تاريخ مصر الحديث .

وهذه القصة تقدم لمن يريد دراسة هذا النظام مادة طيبة أخذتها من فتوة ودونتها أيام قصها علي ثم كتبتها بعد سنوات . وكنت أتمنى لو كانت كاملة أو في مما حكيها هنا ، ولكنها معقولة وكاملة على أي حال .

د / حسين مؤنس

## أهم شخصيات الرواية

**خليل الجوهري :**

الفتوة ، بطل القصة في الخمسينات المتأخرة من عمره .

**حسنين الدّمهوجي :**

فتوة شارع محمد على وحى الجمالية قبل خليل الجوهري .

**محمود النطاق - رجب العصفوري :**

من رجال خليل الجوهري .

**الست جلييلة :**

زوجة خليل الجوهري الأولى وأم ولده إبراهيم وابنته نفيسة .

**أم عبد الحميد :**

اسمها رقية وهى آخر زوجات المعلم خليل الجوهري وأثبتهن إلى جواره ، وهى بطلة الرواية ، فى أوائل الخمسينات من عمرها سنّها فى أول الرواية ٣٠ سنة وفى آخرها ٦٠ سنة .

**سليمان عفيفى :**

فتوة صغير يقتل فى إحدى معارك خليل الجوهري .

**بيومى العتر :**

فتوة حى آخر ، يرغب عدد من الفتوات فى القضاء عليه .

**إبراهيم :**

الابن الأول لخليل الجوهري . كانت سنة حوالى السادسة عشرة من عمره .

**المعلم حمدان أبو كرشه :**

فتوة يدخل فى معركة مع خليل الجوهري .

**شهاب أبو زكريا :**

عضو فى فرقة خليل الجوهري ، كان رئيساً لجماعة المقاتلين ، فى العشرينات من عمره .

**يعقوب الزنط :**

رئيس المقاتلين فى فرقة خليل الجوهري فى الثلاثينات من عمره .

**بكرى :**

ثانى قواد الرجال فى جماعة الجوهري . حاول أن يكون رئيس المقاتلين بعد يعقوب الزنط ولم يوفق .

**الحاج الشواف :**

فلاح صعيدى ، إنه رئيس عائلة يعقوب الزنط فى الستينات من عمره .

محمد منسى طنطاوى :

رئيس المقاتلين فى جماعة الجوهري ، وهو شجاع ، وهو الذى يرث منه الفتونة .

الدكتور رؤوف عبد السلام :

أكبر الأطباء الباطنيين فى مصر فى أيام الجوهري ، أى فى الثلاثينات من هذا القرن .

عوضين العتر :

فتوة حى الخليفة .

عبد الله قرشانة :

فتوة حى القلعة .

رجائى بك لطفى :

مندوب حزب الشعب فى انتخابات محمد محمود فى أواخر الثلاثينات .

إسماعيل خميس :

مرشح الوفد عن حى الجمالية فى نفس الانتخابات .

عائشة :

بنت الشيخ عبد الله شعبان الشواف ، يتزوجها خليل الجوهري .

عم منسى العطار :

عطار فى الستينات من عمره ، يستخدمه خليل الجوهري فى  
إنشاء عطارته .

محمود أبو راسين :

فتوة حى الحسين الذى ينافس خليل الجوهري وتطور  
بينهما معركة .

رجب الفنجرى : مساعد المعلم الجوهري .

المسيو بولوناكى : أرمنى يعمل فى البوليس المصرى .

على الحجاوى :

كان كبير رجال الفتوة محمود أبو راسين ، وقد انضم إلى  
المعلم خليل الجوهري .

جمعة :

خادم ، وهو مساعد أم عبد الحميد .

سليم بك الجمال :

مندوب حزب الأحرار الذى يضربه خليل الجوهري .

توفيق الربيعى : فتوة باب الخلق .

إيناس :

ابنة توفيق الربيعى ، يتزوجها المعلم خليل الجوهري .

محمود صالح : فتوة حى العباسية فى العشرينات .

شعبان محمود صالح :

ابن فتوة العباسية . فى أواخر العشرينات .

أبو الفتوح محاسب الدردير : عمدة الباطنية .

رمضان الدجوى :

رئيس مركز تجارة الحشيش فى الباطنية .

رضوان أبو رصاص :

من كبار رجال شعبان محمود صالح فتوة العباسية .

رمضان العتابى :

رئيس المهريين فى الباطنية .

رشاد القباقيبى :

بطل مصرى شاب ينتصر على الإنجليز فى معركة ( ١٧

سنة) .

عطا عبد العال : أحد جواسيس خليل الجوهري .

رجب عبد السلام : صول مدفعية فى المحافظة .

★★★



كان المعلم خليل الجوهري يقول إنه خالى ، وماهو بخالى بأى حال من الأحوال ، وقد سألت كل أقربائى إن كانوا يعرفون لنا قريباً يسمى المعلم خليل الجوهري ، فلم أجد أحداً منهم يعترف به أو يريد سماع اسمه ، فقد كان الرجل فتوة حى المناصرة فى شبابه إلى سن الستين ، وكان أيام فتوته جباراً ومصيبة و « بلوة مسيحة » على نفسه وعلى الناس ، فقد كان فى شبابه يضرب وينهب ، وكان وراءه جماعة من المتعطلين ( العواظلية ) الذين يرتكبون البشاعات ويحطمون مصابيح المقاهى وينهبون إيرادها ، وكان عساكر البوليس يرهبونه ويقولون إنه شرير حقاً ، وكانوا يقولون إن الضابط إذا أمر بحجزه فى القسم ليلة لم ينم من أهل القسم أحد من الضوضاء التى يثيرها والفوضى التى ينشرها ، حتى كان أتباعه يصرون على إدخال الخمر إليه ليشرب فى التخشبية ، وكانت الخمر تصل إليه ويشرب ، وقد عقل الرجل وتغير من هذه الناحية فيما بعد ، وكل ذلك لم يكن حقيقياً كما سنرى .

ولكن أسوأ ماكان ينفرنا من الفتوات هو الذى جعلنا كلنا نتبرأ من الفتوات وماكانوا يفعلون ، جعل الناس يتبرءون منهم هو إصرارهم على أن يرقصوا أمام كل زفة عرس تمر فى الحى ، وكان رقصهم بشعاً ومعيباً فيه حركات مشينة . وكان الواحد منهم يرقص وفى يده ( شومة ) يرفعها بيديه ويرقص وأتباعه يصفقون ، وهذه ( الشومة ) نفسها كان يستعملها فى ضرب الناس وتحطيم المقاهى وفوانيس النور ، بل ضرب بها إحدى زوجاته فكسر فخذها

فهي شومة إجرامية دموية ، وكانوا يقولون إنه كان إنساناً بغيضاً وحقيراً في تصرفه أحياناً ، وإن كان موسراً وذا أملاك ، وكان بيته في طرف حَيّ المناصرة الذي يخرج إلى ميدان باب الخلق واسعاً وجميلاً وكانوا يقولون إنه يجلس أمامه هو وأتباعه أحياناً ويسكر ويضحك ويعربد ويأكل كالحيوان وكل هذا الكلام وإن كان صحيحاً عن غيره من الفتوات ، أما هو فكان فتوة نظيفاً لأنه نشأ في أسرة غنية افتقرت ، وكان قوى البدن جداً ، ومن هنا دخل عالم الفتوات .

أما أسطورة أنه خالي فسببها - فيما أظن - أنه كانت له أخت طيبة جداً لها خمسة أولاد ، وكان زوجها في حال طيبة ، ولكن ابنها الكبير كان ضعيفاً جداً في اللغة الإنجليزية والعربية والحساب ، وكنت أنا أول الفصل ، وكنت أحبه لطيبة قلبه ، وكان كل يوم يحضر معه سندويتشات ويأكل ويعرض علي ، وما كنت آخذ منه شيئاً لأنني لم أكن مطمئناً إلى النظافة ثم عرض علي أن أدرس له اللغة الإنجليزية والعربية ، والحساب أيضاً ، أو قل إنه عرض علي أن أشرح له كيف يستذكر هذه العلوم فوافقت وذهبت إلى داره ، وكانت أمه سيدة طيبة جداً ، وبدينة جداً ، وكانت تقدم لنا طعاماً دسماً لا أطيقه وكنت أفضل عليه الخبز والدقة والزعتر ، وكنت أحضر الدقة والزعتر معي في علبتين صغيرتين من الصفيح ، وأشرح لمبروك وآكل ، فإذا نهض للطعام مع أمه وإخوته انصرفت إلى داري .

والمعلم خليل الجوهري كان خال مبروك هذا لا خالي أنا ، وكان

يحبني لأننى أساعد ابن أخته ، وفى ذات مرة كنت عائداً إلى بيتى عندما تبعننى رجل كانت بينه وبين جدى خصومة وجعل يشتمنى ، ثم جرؤ ومد يده على ، وتصادف أن كان عم خليل مقبلاً دون أن يراه ذلك الرجل ، وأجارك الله ! أمسك بالرجل وشتمه ثم رفعه فى الهواء وضرب به الأرض وعجنه عجنأ حتى قلنا إنه مات ، وتناول الشومة وهم بضربه لولا أن الناس منعوه ، والرجل الملقى على الأرض جعل يصيح : أنا فى عرض النبى ! حرمت والله يا عم خليل ! والله ماكنت أعرف أنه ابن اختك ! حوشوه ياناس أبوس إيديكم ! .

وحاشه الناس ، ومضى عم خليل وجلس على كرسى أمام محل بقالة وقال للرجل : هات لى شيشة ، والرجل أسرع إلى المقهى وعاد ومن خلفه صبى القهوجى بالشيشة وقال : هذه أحسن شيشة فى كل المناصرة ، وأنا دفعت التكاليف ، أهلاً وسهلاً ، زارنا النبى !!

★★★

ومنذ ذلك اليوم أصبحت مشهوراً بأننى ابن أخت عم خليل ، ولم أجد ما يدعو إلى تكذيب ذلك ، فقد أعطانى أهمية كبرى فى الحى ، فكنت أذهب مثلاً لأشترى ثمن جبنة رومى فيعطينى البقال ضعف ما طلبت وعليه رغيف خبز ! وكنت أطلب ( قرص جبن أبيض دمياطى ) وكان ثمنه آنذاك ثمانية قروش ، فلا يتقاضى الرجل منى إلا خمسة ، ويرسل ورائى صبياً يحمل لى الجبن إلى البيت ، وهكذا . ومن ذلك الحين عرفت قيمة القوة والإرهاب وعرفت معنى

( الفتونة ) وأهميتها ، فقد كان ذلك الرجل - خليل الجوهري - يسير في الشارع كأنه ملك وفي يده الشومة ووراءه عدد من الأتباع لا يقلون عن خمسة ، وكل منهم خادم له مطيع لأمره ، وكان يعيش مجاناً ، فهو لا يدفع ثمن شيء يشتريه ، لأن الناس كانوا يتقون شره بإعطائه الأشياء مجاناً .

وكان الرجل يقطن إلى جانب بيت أسرته الذي ذكرناه في بيت من دور واحد وغرف كثيرة ، وله حوش واسع مسور في عطفة الطاحونة ، وعلى الباب تقف جماعة من ( العواطلية ) يسمون أنفسهم حرس المعلم . وكان هؤلاء الرجال يقضون معظم وقتهم في المسارح والказينوهات ، وكان المعلم يتقاضى عن كل زفة تمر في الشارع ما لا يقل عن خمسة جنيهاً وإلا تحولت إلى مذبحة ، وفي بعض الليالي كان إيراده يصل إلى ثلاثين جنيهاً يوزع منها عشرة على الأتباع ، ويختص أم عبد الحميد - التي أصبحت زوجته فيما بعد - واسمها رقية ، وكانت صغيرة السن جداً عندما زوجها منه ، ولكنها أحبته لأنه كان رجلاً طويلاً عريضاً ، وكان وجهه جميلاً ، فتعلقت به البنت وأنجبت منه غلاماً سموه عبد الحميد فأصبح اسمها أم عبد الحميد ، وقد أكثر الرجل من الزواج عليها ، ولكنها هي لم تكرهه أبداً ، فقد كانت شديدة التعلق به ، وكان هو يحبها أيضاً لأنها كانت جميلة ومطبعة ، وقد عاشت معه عمرها كله على الرغم من أنه لم يعرف قدرها إلا عندما كبرت سنه ، وسترى أن هذه الإنسنة الكريمة ستظل معه إلى أواخر أيام حياته .

وكان الرجل طويلاً عريضاً وأصبح في الأربعينات من عمره ،  
حسن الطلعة ، وكان الحلاق يجيئه كل صباح ويحلق له ذقنه  
ويهدب شعره ويأخذ الطربوش وينظر إليه فإذا لم يعجبه ذهب به  
إلى الطرابيشى فنظفه وكواه وعاد به يتألق ، وكان المعلم يلبس  
جلباباً أبيض يميل إلى السمرة أو الصفرة ، وعليه معطف أسود  
يصل إلى القدمين ، وكان يلبس حذاء جميلاً لامعاً دائماً ، وكان إذا  
أكمل لبسه ووقف وبيده الشومة بدا مهيباً جداً ، وكان جريئاً  
وشجاعاً ، وما من خناقة دخل فيها إلا ضرب الجميع وخرج  
منتصراً ، وكان قويا حتى إنه كان يلقي الكرسي ويحطم به المصباح  
وبعد الخناقة والنصر يدور النهب ، وكل المنهوبات توضع أمامه  
وهو يوزع منها على أتباعه بحسب مزاجه ، ولا يملك الواحد منهم  
حتى لو لم يكن راضياً عن نصيبه - إلا أن يشكره ويقبل يده ويقول  
( ربنا يخليك وينصرك على أعاديك ياسيد المعلمين والفتوات ) .

والطريف في هذه الشخصية أنه كان يحترم كبار التجار ، وهم  
يحترمونه ويعطونه ما تيسر في السر - ليأمنوا على متاجرهم ، وكان  
يحميهم ومتاجرهم فعلاً ، وكان يجلس إليهم ويشرب القهوة معهم  
بكل احترام ، ولكن من يتأخر منهم في الدفع فالويل له ، وكانت  
منطقة نفوذه تشمل [ المناصرة كلها ، وحارة العنبة ، ونصف شارع  
محمد علي من العتبة إلى باب الخلق ] . وكان يحترم مناطق نفوذ  
زملائه من الفتوات ويزورهم ويزورونه . ولكن أعجب شيء في  
خلقه كان احترامه البالغ لرجال البوليس ، فكان إذا ذهب إلى قسم

الشرطة أو أخذوه إليه تهذب مع المأمور والمعاون والوصول ، وكان لا يجلس في حضرة المأمور احتراماً . وقد حكم عليه بالسجن مراراً ، وكان يتأدب في السجن ويطيع الأوامر ويأكل الطعام في احترام ، وكان يقول : إن فترات السجن فترات صحة وعافية له ، فقد كان يقلل من الطعام ويتوقف عن الشيشة وينام معظم الليل والنهار ، ويهب واقفاً إذا مر المأمور أو معاون أو الوصول في السجن ولم يكن يختلط بغيره من المساجين إلا في القليل ، وإذا كان الحكم بالسجن مع « الشغل » عمل بكل همة ، وكان يقول : إن هذه رياضة ، ولهذا كان يخرج من السجن أحسن مما دخله ، وقبل الخروج يسلم على المأمور ويدعو الله له مهما كان عنيفاً معه ، ولهذا فقد كان يخرج دائماً بعد ثلاثة أرباع المدة أو النصف أحياناً إذا تصادف وحل عيد الجلوس أو مولد النبي أو أى مناسبة دينية أو قومية ، فإذا خرج من السجن استقبله أتباعه على الباب بالطبل والزمر والرقص وعادت ريمة إلى عاداتها القديمة .

وكان للرجل — كما قلنا — بيت آخر في آخر المناصرة من ناحية المحافظة ومحكمة الاستئناف . وهنا كانت تقيم زوجته وأولاده . وكانت الزوجة بنت حلال وعاقلة ويقولون إنها جميلة ، وقد أخذت منه مالاً كثيراً واشترت بيتاً واغتنت ، وكان من قواعدها الأساسية الطاعة الكاملة لهذا الوحش ، وفي حياتها لم ترفض له طلباً ، وكانت هى التى تعنى بثيابه فتغسلها وترسلها للمكوجى ، وأصلها بنت معلم ، وكانت تقول إنها تحبه ، وهذا غير مستبعد .

كانت سيدة مليئة جميلة الوجه تزور سيدنا الحسين والسيدة نفيسة والسيدة سكيئة وبقية آل البيت مرة في الأسبوع وفي صحبتها تابعتان لها ، وأحياناً كانت تذهب معها أختها وهى زوجة تاجر محترم ، وقد أنجبت للرجل ولدين وبتناً : واحد من الولدين مات شاباً بالسل كما يقال ، أما الثانى فقد سمعت أنه بعد أن حصل على الابتدائية تزوج ابنة تاجر من دمياط وهاجر إليها وهناك عاش حياة هادئة ميسورة ، فقد كانت أمه ترسل له مالا وإلى هذا الابن هاجرت الأم عندما أسنت وعجزت عن خدمة زوجها المعلم ، ولكنه قنع واكتفى هو بعد ذلك بأمر عبد الحميد ، وأما البنت فقد تزوجت ابن تاجر بعد أن تعلمت القراءة والكتابة وانتقلت إلى العباسية ولم تعد ترى أباهما إلا في النادر .

وقد كانت معلومات الناس عن المعلم الجوهري خاطئة ، فقد رسم الناس له صورة فتوة عادى ، وهذه الصورة هى التى ذكرتها السنة الناس . أما أنا فقد عرفته عن قرب وتبينت أنه فى حقيقة أمره رجل طيب ، وإن كان فتوة حقيقياً فقد كان قوى البدن شجاعاً جداً أما ابن أخت المعلم الذى كنت أدرس له فقد أصر عمره كله على السقوط فى اللغتين العربية والإنجليزية والحساب ، وأضاف لها فيما بعد الجغرافية ، ولهذا فإنه لم يأخذ الابتدائية إلا بالعافية ، ثم تزوج فتاة ميسورة الحال ابنة تاجر لا بأس به ، وكان فتى جميلاً جداً وسيم الوجه أنيقاً ، وكان موضع إعجاب النسوان ، ولكنه كان عاقلاً فاقترصر على زوجته ، وكانت أمه ترسل إليه مالا كل شهر ،

وكان هو يزور أمه كل يوم جمعة مع زوجته ويتغديان عندها وربما رأيا الأب ، وكان خاله الفتوة يحبه جدا ويقسم به ويقول :  
وحياة عبد السميع ابن اختي .

وكانت له مع الجغرافية حكاية ، فقد كان ضعيف الذاكرة جداً فكنت في ليلة الامتحان أضع له أربعة أسئلة وأجوبتها وأحفظها له عن ظهر قلب . وفي ذات مرة وضعت له سؤالاً يقول : ارسم خريطة لنهر النيل وفروعه ومنابعه واكتب عليها أسماءها وكان هذا سؤالاً سهلاً ، ومن حسن الحظ أنني كنت قد أعطيته إياه مع جوابه فرسمت له خريطة نهر النيل وكتبت عليها الأسماء ، وقام هو برسمها عشرات المرات . وقد سعد الولد عندما جاء هذا السؤال في ورقة أسئلة الجغرافية في اليوم التالي وتأكدت أنا أنه سينجح ففي فجر يوم الامتحان رسم هو نهر النيل عشر مرات . ولكنه في ورقة الإجابة رسم نهر السوبات على اليسار لا على اليمين ، ونقل الرسم وجاء إلى البيت وكنت أنتظره ، وأراني الخريطة العجيبة ، فنظرتُ إليها ودار رأسي وقلت له خيبك الله . هل نهر السوبات على اليسار ؟ أليس هو النيل الأزرق في نفس الناحية . أما نهر عطبرة فقد رسمه خارجاً من النيل الأبيض عند وسطه وقد رسمه في صورة خط تافه ، فلما سألته في ذلك قال : هكذا رسمنا الخريطة في الليل والفجر ، فأريته خرائطه بيده ، فنظر فيها ثم هز رأسه وقال :  
( مفيش فايده . هذه الجغرافية لن تدخل عقلي أبداً ) .

أما المصيبة الكبرى التي ارتكبها في ذلك الامتحان فكانت في بحيرة فيكتوريا وقد رسمها في موضعها تقريباً ، ولكن الرسم كان أى كلام . ثم كتب عليها [ بحيرة مكرونة ] وهنا كاد نفسى يقف ، فقلت له - أهكذا كتبتها في ورقة الإجابة بحيرة مكرونة ؟ .

قال : أليس هذا هو اسمها ؟ .

- إذن خذ وانظر ماكتبته أنت بخط يدك في الفجر ، فنظر إلى الخريطة وقال : [ أه فيكتوريا ] . والله ياسى حسين لقد غاب عنى اسمها ولم تبقى إلا مكرونة .

- وهل في الدنيا يأخى بحيرة اسمها بحيرة مكرونة ؟ فسكت قليلاً ثم قال : هكذا جاءت ، فماذا أفعل ؟ .

أما اللغتان والحساب فقد ظل يرهب فيهما بنظام كأن هذا مبدأ لا يمكن أن يحيد عنه ، وأخيراً قالت لى أمه : لا فائدة يا أستاذ ، كفاية عليه الابتدائية ، وبعد سنوات من الرسوب في السنة الأولى الثانوية ، تزوج تلك البنت وكانت تحبه ، وقد اثبت أنه زوج طيب وعاش وأنجب وكثر عياله فانشغل عن أبيه إلى دمياط كانت الأم ترسل إليه المال وإن لم يكن في حاجة إليه فقد كان حماه موسراً ، وقد عمل في دكانه ونجح في التجارة والزواج نجاحاً لا بأس به .

وانتهت أيام « المناصرة » والمعلم خليل الفتوة ، وتركت حى المناصرة وعدت إلى أهلى وانتظمت حياتى ، وواصلت دراستى وأصبح هذا الماضى كله ذكريات . وعم خليل نفسه رغم جلالته

شأنه وعظيم مهابته أصبح شيئاً من أشياء الماضي ، وكذلك انتهى أمر أقاربه وتلاميذى منهم وخاصة تلميذى صاحب بحيرة مكرونة .

وكنت قد ذهبت للعيش مع جدى فى حى المنصرة ، تنفيذاً لأمر أمى ، وكان هذا الجد رجلاً بغيضاً حسوداً ، وكان أولاده يكرهونه ويحقدون عليه ، لأنه رغم ماله الكثير كان أبخل رجل فى الدنيا ، وكانت أمى قد سمعته مرة يقول : أنت عندك خمسة أولاد وأنا لا أحد عندى .

فصرخت فيه : قال الله ولا فالك . لم تقول ذلك وأنت تعرف محبتى فيك ؟ .

فقال لها : اعطنى واحداً منهم يعيش معى ، فأنا وحيد لأن أولادى تركونى وأنت تعرفين أنهم يكرهوننى .

فقال له : خذ أى أبنائى تريد .

فقال : آخذ هذا .... وأشار إلى .

وهكذا انتقلت إلى جدى هذا ، وهو ابن عم أمى وعشت معه حياة هى أتعس مايمكن أن يتصوره الإنسان ، فقد كان بخيلاً جداً حتى إنه كان يطبخ مثلاً حلة سبانخ ، ويعيش عليها ، وأنا معه ثلاثة أيام وكان يأكل طعام غذائه ، ثم يأخذ الباقي بالحلة معه ويدخل إلى غرفته خوفاً من أن تأكل الطباخة شيئاً ، وفى الليل كان يعد نقوده

كل ليلة ، وكانت النقود كثيرة جداً ، ولكن لذته في عدها كانت أكبر من استمتاعه بها ، فلما تركت بيته تنفست الصعداء .

حقاً إن حياة حى المناصرة ومعرفة المعلم خليل كانت شيئاً ممتعاً ، ولكنى تركتها وعدت إلى بيتى فراراً من ذلك الجد البخيل الأليم ، وعدت إلى دراستى وانتظمت أمورى ، ولكنى كنت أعود بالذكري إلى أيام المناصرة والمعلم خليل لأنه كان فعلاً رجلاً ممتعاً .

وعندما كنت في السنة الثالثة الجامعية ، كانت لذتى الكبرى ، هى العمل في دار الكتب في باب الخلق ، وكنا إذ ذاك نسكن في شقة جميلة جداً قرب شارع شيكولانى في شبرا ، فكنت كل يوم أخرج من بيتى إلى دار الكتب ، وكانت الرحلة على القدم بديعة جداً ، ولا تستغرق أكثر من نصف ساعة ، وفي دار الكتب كنت أعمل وأستمع إلى الثامنة مساءً ولا تتصور كم قرأت هناك ، فإن دار الكتب كانت مركز العلم كله وكان فيها شىء يسمى مكتبة الأولاد كل مادتها باللغة الإنجليزية ، وفي مكتبة الأولاد هذه كنت أستذكر دروس الجامعة ثم أقرأ ما شئت من الكتب المصورة بالإنجليزية .

وفي ذات مرة ذهبت ، فإذا بالدار مقفلة ، لأنه كان يوم إجازة دون أن أدري ، فوقفت أمام الدار المقفلة أستريح قليلاً ، لكى أعود بعد ذلك إلى بيتى ، فإذا أنا كذلك إذ أقبل شاب آخر ، كان لا يعلم هو الآخر أن اليوم إجازة ، وتحدثنا وسعدنا ودعانى إلى الشاى في قهوة

في شارع محمد علي ، وذهبنا ومضينا نتحدث ونضحك وإذا به يذكر المعلم خليل الفتوة فقلت له : أنت تعرف المعلم خليل ؟ .

قال : كيف لا أعرفه وهو قريبي من بعيد ! .

قلت : وأنا أيضاً أعرفه .

- أعرف ذلك ، لأن هذا الرجل لا يكف عن ذكرك .

- ألا زال على قيد الحياة ؟ .

- بلى ولكن هذا المسكين مريض .

- ماذا يشكو ؟ .

- هذا المسكين يشكو من داء الفيل وحالته تصعب على الكافر ،

مارأيك في أن نذهب إليه الآن ؟ .

- أرجوك أن تأخذني إليه .

ومضينا معاً ، وفي الطريق قال لي : أنت لا تعرف ماذا جرى لهذا

الرجل الطيب ، لقد انتهى عصر الفتوات ، ثم سجنوه تسع سنوات

لجريمة ارتكبتها ، وخرج محطماً فسكن في هذا البيت الذي تملكه

امرأة قاسية لا يعرف قلبها الرحمة ، وقد بنت له غرفتين في

السطوح ودورة مياه هي في نفس الوقت حمام ومطبخ ، وكل ذلك

أجرته له بجنيه في الشهر .

وكان هذا إيجاراً محترماً في تلك الأيام ، ثم أضافت خمسين

قرشا ، ووقف الإيجار عند ذلك ، ولم يبق من أتباع الرجل إلا تابع في الغاية من الغباء ، يسمى جمعة ، وكانت معه أم عبد الحميد ، وقد أسنت ولكن شكلها ظل مقبولاً ، وكانت تملك شيئاً من المال فكانت تتعاون به مع المعلم خليل في نفقات العيش ، أما حاله هو فلم يعرف أحد عنه شيئاً . وكان هو يزعم أنه لا يملك مليمياً وأنه يعيش من الفتونة ، وكانت سنة تقارب الستين وكان قد تزوج أم عبد الحميد ، وقد صلح أمر هذه المرأة مع الشيخوخة .

وبدأ هذا المرض وهو داء الفيل معه من سنوات ، وقد بدأ داء الفيل معه خفيفاً ، ثم زاد مع الوقت حتى أصبحت ساقه اليسرى في عُرْضٍ وَسَطِهِ ، ثم اشتد به المرض فتفتحت ساقه ، وأصبحت تخرج سائلاً ، وكانت أم عبد الحميد تغسل له رجله كل يوم ، ثم تضع عليها قطعة قماش بيضاء لتحميها من الذباب ، وظل هذا المسكين راقداً يزداد به المرض ، وكان عنده كرسي يعتمد عليه في الذهاب إلى دورة المياه ، ثم يعود ليرقد وأحياناً كان يبكي حال نفسه .

فلما دخلت عليه مع صاحبي نظر إلى المعلم وقال : حسين .  
يا ألفت نهار أبيض يا ابني ، ألا زلت تذكرني ؟ .

وتقدمت واعتنقته ثم قلت له : كيف حالك يا معلم ؟ ..

قال : زى الزفت كما ترى ، وليس معي إلا أم عبد الحميد . قلت وجمعه .. ومضينا نتحدث وأنا ألاحظ أن الرجل مريض فعلاً ، وفي

أثناء ذلك كان النوم قد غلب عليه فتسحبت في هدوء على أن أمر عليهم في اليوم التالي .

وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى قصر العيني ، وهناك قابلت صديقي الدكتور عبد السلام قناوى ، وحكيت له قصة المعلم الجوهري فقال : لا فائدة ولا علاج ، وهذا الرجل يموت في بطن خاصة وهو في الستين من عمره .

قلت : سألتك الله يادكتور عبد السلام إلا أتيت معي لترى هذا المسكين ، ومن يدري فلعل الله يريد له شيئاً من التحسن على يدك .  
- هذا المرض لا يعالج يافلان ، وكل مانستطيع عمله هو أن نغسل له الجرح ونعقمه .

- إذن فتعال معي وانظر في أمره وليفعل الله مايريد .

وأتى معي ، ودخل على الرجل وكشف عن رجله ونظر إليها .

وقال - لماذا تركت المرض يستفحل لهذه الدرجة ؟ .

- أمر الله يادكتور .

- ونعم بالله ، لا بد أن أنقلك إلى المستشفى الآن .

- لا فائدة يادكتور ...

- لا أحد يدري سننظف لك جرحك ونعقمه على الأقل ، وهذا

سيخفف عنك .

قال : لن أخرج من هنا أبداً .

قلت : بل ستخرج ، ولا بد أن تذهب مع الدكتور عبد السلام قناوى ! وناديت جمعة وأمرته أن يأتينا بعربة حنطور .

وقالت أم عبد الحميد : وأنا ماذا أفعل ؟ .

قلت : يا أم عبد الحميد لابد أن ينتقل هذا الرجل من هذا المسكن الفقير إلى الدور الثانى من البيت تحتنا ، إنه ثلاث غرف وحمام ومطبخ ، وهو خال كما علمت ..

- ولكن إيجاره جنيهان ونصف .

— ليكن ولكن لابد أن تنتقلوا إلى تلك الشقة ! وبعد مفاوضة شاقة قبلت المرأة صاحبة البيت أن تؤجر له الدور الثانى بجنيهن ، وطلبت شهرين مقدماً فدفعهما الدكتور عبد السلام ، وقال الدكتور عبد السلام قناوى لأم عبد الحميد : اسمعى يا أم عبد الحميد ، أنتم لستم فقراء إلى هذا الحد لابد من هذه الشقة وإعدادها للمسكن ، إن زوجك فى حاجة إلى تحسين المنظر وأنت تستطيعين أن تدفعى شيئاً.

قالت : خمسة جنيهاً وهذا أقصى ما عندى .

— وهذه عشرة جنيهاً أرجوك أن تبيضى البيت ، وتنجدى المراتب ، وتضعى ستائر على الشبابيك لحماية هذا المسكين من الذباب ، هذا المرض طويل ومؤلم ، ومن واجبنا أن نخفف عنه .

- أمرك يا دكتور .

وحملنا الرجل إلى عربة الحنطور ، ومضينا به إلى قصر العيني ،  
والدكتور عبد السلام قناوى أعد له حجرة لا بأس بها ، وبعد أن  
دخلنا قام مع الممرضات بغسل الجرح وتعقيمه ، ثم غسلوا الرجل  
بالماء الساخن ، ووضعوه في فراش نظيف ذى أغطية بيضاء وأتوا  
للمسكين بطعام جيد ، فأكل وأعادوا تطهير الجرح .

قال الدكتور عبد السلام قناوى : سأترك معك ممرضة تخدمك  
ونتركك الآن .

- هل سأشفى يا دكتور ؟ ..

- الله أعلم ، على أى حال سأبذل معك أقصى ما أستطيع ، وغداً  
سيراك الدكتور الحوفى ، وهو أعظم الأخصائيين فى الباطنى ، وإن  
شاء الله ستتحسن حالك على يده .

ونظر الرجل إلى وقال : كنت أعلم أن الخير سيأتينى على يدك ،  
لم أكن أتصور أننى فى يوم من الأيام أنام فى فراش نظيف أبيض  
وأحظى بهذه العناية مرة أخرى ، ثم أضاف : اذهب الآن يا ابنى فقد  
قضيت معى نصف يومك ، وغداً إن شاء الله أراك .

وفى اليوم التالى بعد الظهر ذهبت إليه فإذا به أحسن بكثير ،  
والدكتور الحوفى أعطاه دواء أوقف السائل الذى كان يسيل ،  
والممرضة كانت طيبة جداً والرجل تحسن حاله بشكل غريب ، وأتت  
أم عبد الحميد ورأته وسرها ما رأته فقلت لها : هل أعجبتك  
ما رأيت ؟ ..

- الحمد لله ثم لك .

- لا ، الحمد لله وحده ، إذا كان هذا قد سرك فأرجو أن تفعل ما قلت لك في الشقة السفلى ولا تنسى البياض والستائر وتنجيد المراتب .

- سأفعل كل ما أمرتني به .

- الدكتور الحوفى قال : إن المعلم سيظل هنا عشرة أيام ، وأظن أن عشرة أيام تكفى لكى تعملى ما طلبت منك .

- سأفعل كل شىء إن شاء الله .

وبعد عشرة أيام من العلاج فى القصر العينى تحسن الرجل فعلاً ، وتحسنت كذلك حالته المعنوية ، وتوقف السائل الذى كان يسيل ، والجرح أصبح نظيفاً وأعطونا أدوية للنظافة والتعقيم ، وعدنا بالرجل إلى البيت وقد بدأ حياة جديدة ، والبيت كان مزيناً بالستائر على الشبابيك ، والمراتب المنجدة ، والحمام النظيف ، وأصبح البيت كله شيئاً آخر ، وظل الرجل مريضاً بداء الفيل ، ولكن حالته أصبحت أحسن بكثير ، وكنت قد عملت حسابى أن أعمل فى دار الكتب من الثالثة إلى السابعة ، ثم أذهب إلى المعلم وأظل معه إلى الثامنة أو الثامنة والنصف مساءً ، والرجل أحببني حباً جما وأنا أيضاً أحببته وعطفت عليه .

وبعد أن اطمأنتت على حاله جلست على كرسى قريباً منه

وقلت : والآن يامعلم ، أريد أن أعرف منك قصة الفتونة .

- قبل أى شىء لابد أن تتعشى معنا ، أم عبد الحميد طبخت لك ديكاً رومياً ، وقد عرفنا أنك تحب القلقاس فعملنا لك قلقاساً وكفتة ودمعة .

- آكل معكم إن شاء الله .

- إذن أنا أحكى لك ماتريد ، من أين تريد أن أبدأ ؟ .. وهز منشة في يده يطرد ذبابة لحوماً .

فقلت : كيف أصبحت فتوة ؟.

- هذه قصة طويلة يابنى ، يعلم الله أننى لولا ما فعلت أنت معى ما حكيت شيئاً ، فهذه أيام مضت وبعض ذكرياتها تؤلمنى .

قلت : معى لن تتألم إن شاء الله ، وعلى المائدة ونحن نأكل هذا الطعام الجميل ، بدأ الرجل يقص حكايته مع الفتونة وكان لابد من علاجه حتى يتكلم والعلاج نفع ، والرجل انفتحت نفسه للكلام ، وكان يعشق السجائر ، وأم عبد الحميد كانت تلف له في اليوم خمسين سيجارة وأشعلت له واحدة ، وهز الرجل المنشة في يده وبدأ يحكى ، وكانت قصة جميلة حقاً كما سنرى .

اعتدل المعلم خليل الجوهري الفتوة السابق في جلسته ، وأخذ نفساً طويلاً من سيجارته وابتسم وقال : بعد الذى فعلته معى لا يمكننى أن أرفض طلبك ، وصدقنى أننى ما كنت أنوى قط أن

أتحدث عن الماضى الذى مررت به وأنا فتوة ، لأن الناس تحسب أن الفتوة شهامة وشجاعة مع أنها فى الحقيقة بلطجة ، ومادام فى البلد حكومة وبوليس فما لزوم الفتوات ؟ وماذا يعملون ؟ إنهم يزعمون أنهم يحمون التجار والبيوت ويؤمنون الأفراح ويحمون الزفات ، ولكن الحقيقة أنهم كانوا خطراً على التجار والبيوت ونكداً وتهديداً للأفراح وخطراً على الزفات ، وصدقنى أننى أشعر بخجل ، لأننى كنت فتوة لمدة تزيد على عشر سنوات ، ولا أذكر أننى قمت خلال هذه الفترة بعمل أستطيع أن أفخر به الآن .

ولم يكن يخطر ببالى ، وأنا فى مطالع شبابى أن أكون فتوة ، فقد كان أبى صائغاً ، ممن أرسلهم الخديوى إسماعيل إلى إيطاليا وفرنسا لتعلم فن الصياغة الأوروبى وعاد جواهرجياً ممتازاً ، خدم الخديو والأمراء ثم افتتح محلاً للصياغة ونجح نجاحاً عظيماً ، ومن هنا جاء لقبى ( الجوهري ) ، ولكن أبى عندما توفى خلف من ورائه تسعة أولاد :خمس بنات وأربعة بنين ، وعند تقسيم التركة خرجت وأخى الأكبر إبراهيم بمحل الصياغة ، وكان أخى إبراهيم هذا مسرفاً متلافاً فنهبه العمال ، وبعثر هو ما استطاع بعثرته فى اللعب والعبث ، وعندما مات فى حادثة سكة حديد لم يخلف لى شيئاً يذكر ، كان محل الصياغة قد ضاع كل ماكان فيه ، ولولا أن أحد مساعدى أبى ، وهو الأسطى توفيق ، قد رق لحالى واشترى منى المحل وبقية ماكان فيه ( بـ ٣٠٠ جنيه إنجليزى ذهب ) لما وجدت لقمة عيش .

وكننت أسكن آنذاك فى بيت العائلة ، وكان بيتاً فسيحاً من ثلاثة

أدوار ، وكان عدد الخدم فيه سبعة ، فألقيت ذلك كله وانتقلت إلى شقة لا بأس بها مطلة على شارع محمد علي ، ولم يبق معي من الخدم إلا جمعة هذا الذي بقى معي إلى الآن ، أما أم عبد الحميد فكنت أعطيها خمسين قرشاً في الشهر لكي تنظف لي الشقة وتطهر الطعام ، وظلت تقيم في غرفة في حوش بيتنا القديم ، وكانت تدفع عشرة قروش إيجاراً للغرفة ، وتقوم بتنظيف حوش البيت والسلالم كل يوم بعشرين قرشاً في الشهر ، وكانت تتغدى كل يوم في بيتي وتأخذ معها بقية الطعام ، فلم تكن هناك ثلاثيات وكنت لا أحب أن يبقى شيء من الطعام في المطبخ ، فكانت هي تأخذ بقية الطعام وتغسل المطبخ والحمام غسلًا جيداً وتمضي إلى غرفتها .

وبعد مضي ثلاثة أشهر ، وجدت أن ماعندي من الجنيهات الإنجليزية ينفد بسرعة ، وبدأت أشعر بالقلق على مستقبلتي ، وكانت سني آنذاك أربعاً وعشرين سنة .

وكنت أتسلى بالجلوس في مقهى صغير في آخر زقاق الطاحونة في المنصرة ، وهنا أيضاً كان يجلس طوال النهار تقريباً حسنين الدهوجي الفتوة قبلي ، وكنت - قبل أن أعرفه حق المعرفة - أراه دائماً ممسكاً بقم الشيشة وجالساً على مقعد في قاع القهوة يحيط به نفر من أتباعه ، وفي ذات يوم أتوه براقصة سمينة ضخمة لترقص وتسلية ، وبدأت هذه المسكينة ترقص ، فقال حسنين : اصعدى على المنضدة !!

وحاولت المسكينة أن تصعد فلم تستطع .

فنظر حسنين إلى رجاله وقال : أليس فيكم من يستطيع حملها ووضعها فوق المنضدة !!؟ .

وحاول واحد منهم ذلك فلم يستطع وتبعه ثان ففشل .

وقال حسنين الدمهوجى : اخص عليكم ، أتعجزون عن حمل هذه الراقصة ووضعها على المنضدة ؟ .

فقال له واحد منهم : لا يستطيع ذلك أحد .. جرب أنت .

ونهض هو ووضع رأسه بين ساقها ، وحاول أن يهيم بها فلم يستطع ، وقال : أعوذ بالله ، كم وزنك ؟ .

ونهضت أنا ونظرت إليها وقلت لها : ضعى ذراعيك حول رقبتى ، ففعلت ، ثم حملت ساقها وبقيّة جسدها ووضعتها على المنضدة .

وشعرت المسكينة بخوف عظيم ، فقد كانت المنضدة ضعيفة لا تستطيع حملها ، فنهضت وحملتها ووضعتها على الأرض وأعطيتها عشرين قرشا ، وقلت لها : روحى بيتك ياست ! .

ونظر حسنين إلى وقال : يبدو أنك قوى جداً .

- نحمد ربنا يامعلم .

وبعد لحظات طلب لى شايًا والتفت إلى وقال : وماذا تعمل .. ؟

ألست أنت الجوهري ؟ .

- نعم . أنا هو ، ولكن المحل راحت عليه ، أخی أضع كل شيء  
وأنا الآن على فيض الكريم .

- إذن لماذا لاتعمل معنا ؟ .

- وماذا تعملون .. ؟

وقال واحد من الجالسین : ألا تعرف المعلم حسنین  
الدمهوجی !!

فقلت على العين والراس ، ولكن ماذا أعمل معكم ؟ .

فنظر إلى المعلم وقال : تفعل ما أقول لك .

- معذرة فهذا عمل شاق لا أستطيعه ، أنتم كل ليلة في واقعة  
وأنا رجل مسالم ولا أحب الخناقات .

قال المعلم : لا .. أنت ستعمل معنا في الفتونة ، لأنك رجل قوى  
وشجاع ، بعد غد سيكون هناك فرح في حارة العنبة ، ونحن  
سنذهب ونضرب الزفة إلا إذا دفعوا لنا خمسين جنيهاً ، وأنت  
ستقود هذه الحملة وستأخذ عشرين جنيهاً من الخمسين وتعطيني  
الباقى . وبالفعل قمت بهذه العملية وأخذت عشرين جنيهاً .

وانقطعت عن جماعة المعلم الدمهوجى بعد أن قمت بمهمة فرح  
المعلم زناتى ، واسترحت لذلك وأحسست أنه من المخجل أن يحصل  
الإنسان على المال بتلك الطريقة التى هى في الحقيقة نوع من

البلطجة واللصوصية ، ولكن الفلوس في ذاتها لذيدة ، وخاصة بالنسبة لرجل مثل لا مورد رزق له ، ولكن جيبي على أى حال ظل عامراً بالمال لمدة أيام ، ومر بي واحد من الصعاليك الذين يعملون مع المعلم حسنين الدمهوجى ، وقال لى : إن المعلم لا يذهب في الخرجات أبداً لأنه جبان ، ولكنه يختار واحداً يجعله رئيس الجماعة تحت يده ، وكان يرأس الجماعة قبل شاب جرىء لا يعرف الرحمة وفي إحدى الخرجات قتل رجلاً ، وقبض عليه البوليس ، وحكمت عليه المحكمة بالسجن المؤبد ، ولهذا فالمعلم الآن في حاجة إلى رئيس جديد ، والجماعة عاطلة من أيام ، لأن بقية الجماعة هلافيت ليس فيها واحد يصلح للرياسة أو يجرؤ عليها ، واقترح الرجل على أن أعود ، ولكنى رفضت لأننى لا أريد أن أدخل السجن بحكم مؤبد ، ثم إننى لم أكن أشعر بأى حب أو احترام للمعلم الدمهوجى .

ولكن الأمور تجرى على ما يقدره الله ، لا على ما نقدره نحن ، فقد زارتنى سيدة محترمة جدا على غير موعد ، وقالت في كمال ظاهر : إنها في حاجة إلى معاونتى ، فهى تملك البيت الذى يجاور بيت الدمهوجى ، وهو بيت طيب يدر عليها إلى جانب سكنها قرابة الجنيهات العشرة ، ولكن الرجل - أقصد المعلم الدمهوجى - طلب الزواج منها ، فلما رفضت ، فرض عليها جزية شهرية قدرها خمسة جنيهات ، وهى لا تريد دفع هذا المبلغ بل هى لا تستطيعه ، وهى الآن تأتينى لكى أعاونها فقد سمعت أننى من رجال الدمهوجى ، وقالت السيدة : إنها فكرت في أن تعرض الأمر على

ولديها المتزوجين ، واللذين يعيشان بعيداً عنها ، ولكنها خافت عليهما ، ورأت أن تعرض الأمر عليّ ، وتأمّلتها وهي تتحدث فأعجبت بهيئتها وملابسها وطريقة حديثها ، وأحسست أنني لابد أن أساعدها ، خاصة أن ابنها سعيد كان صديقي ، ولكني لم أهتمد إلى الطريقة التي أساعدها بها ، وكنا يوم الأربعاء فقلت لها : ثقي ياسيدتي أنني لن أتخلى عنك ولكنني في الحقيقة لا أعرف ماذا سأعمل ، ورجوتها أن تنظرني إلى يوم الأحد .

صباح الجمعة مرّ بي في بيتي أحد هلافيت الدمهوجي ، واسمه رجب العصفوري ، وقال لي وهو يشرب القهوة : تصلى معي الجمعة يامعلم ، أريد أن أتحدث إليك في أمر مهم ، أي والله يامعلم جوهرى ، وصدقتني لقد فكرت طويلاً قبل أن آتى إليك ..

- يبدو أنه أمر مهم فعلاً !!

- إي والله .

- إذن نتوضأ ونصلى الجمعة ثم نتحدث .

- أريد أن نكون بعيدين عن هنا ، مارأيك في الصلاة في مسجد السيدة نفيسة ؟ .

- كما تريد .

وبعد أن صلينا الجمعة قلت له : سنشترى كباباً من محل أعرفه ثم نذهب للأكل في بيتي .

قال : كما تريد .

واشترت الكباب ، وذهبنا إلى بيتى ، أما أنا فأكلت الطاجن الذى تعودت أن أكله كل يوم من يد أم عبد الحميد ، إنه طاجن أم عبد الحميد المشهور ، بل مشهور فى القاهرة كلها ، وكل الناس يقولون : إنه سبب مرضك .. ربما ولكن صدقنى إنه كان أذى شئ فى الدنيا !.

المهم ذهبنا إلى بيتى وأكلت الطاجن ونمت تاركاً رجب العصفورى وأم عبد الحميد يأكلان ، وبعد أن صحت شربنا الشاي ، واقترب الرجل منى وقال : أستحلفك بالله ألا تقول هذا السر لأحد ، إنهم يدبرون قتل الست جليلة أم زيدان جارة المعلم الدهوجى .

- من هم الذين يدبرون ؟ ..

- المعلم دمهوجى ومحمود النطاظ .

قلت : أظن أننى أعرف هذه السيدة ، ولكن لماذا يريدون قتلها؟.

قال : لأن المعلم يريد أن ينتقم منها ويحصل على بيتها ، لقد عرض عليها الزواج أكثر من مرة ولكنها رفضت .

فسكتُ قليلاً حتى أتتني أم عبد الحميد بالشيخة وقلت : الذى أعرفه أنه ليس فى حرفتكم هذه قتل ، فيها ضرب وسلب ونهب وبلطجة ، ولكننى ما ظننت أنكم تعرفون القتل؟.

- إنه واحد ، واحد فقط في شلتنا يقترف هذه الجناية وهو :  
محمود النطاط ، لى عشرون سنة فى هذه الصنعة السوداء ،  
ما عرفت من يجرؤ على الدم إلا هذا الملعون ، حكا لى كثيراً ولكنى  
رأيتة يقتل بعينى هذه ، رأيتة يقتل المعلم سليمان عفيفى ، وكان  
فتوة صغيراً على باب الله ، ولكن المعلم خاف منه لأنه بدأ ينظر إلى  
العلالى فنادانا المعلم وأمرنا بأن نهجم عليه وجماعته فى مقهاهم  
قرب الباب الأخضر ، ولم يكن المعلم يريد أن نقتله ، أنا أعرف ذلك ،  
ولكن عندما اشتدت المعركة بيننا وبينهم فوجئت بمحمود النطاط ،  
يضرب المعلم سليمان عفيفى بقطعة حديد فى مؤخرة رأسه والرجل  
خر ساكتاً ، وتفرق أتباعه وملكنى الرعب فتخشبت مكانى ، وتقدم  
محمود ودس يده فى عب الرجل وأخرج كيس نقوده ونظر إلى وقال :  
مالك تخشبت ؟ .

- غصباً عنى يامحمود ، إن القتل شىء فظيع ..

- المهم أنك لم تر شيئاً وإلا فأنت تعرف المصير .

- لا تخف يامحمود ..

- وهذه الحكاية لم يعرف خبرها إلا المعلم الدمهوجى ، وأنت  
ثانى إنسان يعرفها .

- ولماذا أبلغتني ؟ ..

- أقول لك الحق .. لقد خفت على الست جليلة ، إنها ست

عظيمة جداً يامعلم خليل ، وأقول لك الحق إننى لست خائفاً عليها  
من المعلم حسنين الدهوجى بل من محمود النطاق .

ففكرتُ قليلاً ثم قلتُ له : هل تظن أن المعلم الدهوجى يعارض  
فى عودتى إليكم ؟ ..

— إنه يتمنى ذلك ..

— إن كنت متاكداً من ذلك فقل له إننى سأمر عليه فى القهوة بعد  
ظهر غد السبت .

ووجدت المعلم الدهوجى فى انتظارى فى الموعد ، وطلب لى قهوة  
وشيشة وتصالحنا ، وقال لى : قلت لك إنك لن تعرف السعادة إلا  
معنا ، مَنْ فى الدنيا يرفض خمسين جنيهاً فى الشهر ؟!!

— ولكن حياتكم كلها نكد ، كلها ضرب وخناق وسرقة .

— وهل تتصور أنا نتخانق لوجه الله ؟ هل هناك مَنْ يجروء على  
أن يثبت لنا ؟ بمجرد أن يظهر يهرب الناس أمامنا ، أو يدفعون لنا  
ما نطلب ، وسكت لحظات حتى أتى خادم القهوة بالشاى ، فناوله  
حسنيين لى وقال : اسمع يا .. على فكرة ما اسمك ؟ إبراهيم ؟

— لا ، إبراهيم كان أخى أما أنا فاسمى خليل .

— عاشت الأسامى ، اسمع يامعلم خليل ، أنت طويل وعريض  
وقوى ، وإذا انضمت إلى جماعتى زادت هيبتها . وصدقنى أننا  
لا ندخل خناقات ، لأن الناس تخاف منّا ، وأنت إذا انضمت لنا

زادت هيبتنا كما قلت ، وزادت أرباحنا ، وكل ما ستعمله هو ما أمرك به ، وسأعطيك في الشهر راتباً قدره خمسون جنيهاً ، أضعها في يدك وفي كل ليلة ستربح عشرة جنيهات وهكذا ، وهذا ضعف ما يأخذه بقية أفراد الجماعة ، أقصد هؤلاء الهلافيت .. وأشار إلى مساعديه .

وفكرت قليلاً فوجدت أنني إذا عملت مع هذا الرجل ، انتقلت من حال إلى حال ، وماداموا لا يدخلون خناقات ، فإنني لن أجد نفسي في مشاكل مع البوليس .

ولكنني سألته : والبوليس ؟ ماذا تعملون مع البوليس ؟ .

- لاشيء .. البوليس يتقى شرنا ، ثم إننا لا نفعل ما يغضبه ، سترى أن عملنا كله خير وحلال ، موافق ؟ .  
- موافق ..

- هذه الليلة سنكبس قهوة في شارع فجج النور . سيقومون هناك الليلة حفلة لرجل خرج من السجن ، ونحن سنهاجم المقهى ، ونخرج بمبلغ طيب ، اللقاء هنا بعد صلاة العشاء .

وبعد صلاة العشاء كنت في المقهى ، لم أجد حسنين الدمهوجي ولكنني وجدت بقية صبيانه ، وقال واحد منهم : المعلم جاءه شغل ، وأنت ستقود الحملة .

- هيا بنا .

ومضينا إلى شارع فجج النور ، كان المقهى منيراً كأننا في عز

النهار ، وكان هناك رجل يغنى ، وبمجرد أن اقتربنا تقدم منى شاب  
- عرفت فيما بعد أنه ابن الرجل الذى خرج من السجن - وقال فى  
غضب : أنتم رجال حسنين الدهوجى ؟ .

- نعم ..

- إذن فلن تحصلوا منى على مليم واحد ، ولو تقدمتم من المقهى  
كسرنا رقابكم . واقترب منى رجل ضخم حسن الحيا وقال : هذه  
ليلة فرح ، فلماذا لا تشاركوننا فى الفرحة ؟ .

قلت : نشارككم بكل سرور .

- ونحن مستعدون أن ندفع لكم ما تريدون ، بينى وبينك ، أنا  
أخو المعلم زناتى الذى خرج من السجن صباح اليوم ، وبينى وبينك  
نحن نريد أن نفرح ونهيص وسندفع لكم ثلاثين جنيهاً .

وصاح ابن المعلم زناتى : لا ، والله لا ندفع مليماً .

وصاح رجل من أتباعى : لا أقل من خمسين جنيهاً .

ولكننى قلت للرجل : شوف يامعلم ، أنت رجل عاقل فيما يبدو  
لى ، ونحن نريد أن نشارك فى الحفل ، ما رأيك فى أن تزيد المبلغ إلى  
أربعين جنيهاً ..

وصاح الشاب : ولا مليم ! ..

فنظر إليه الرجل وقال : سأدفعها من جيبي حتى لا تفسد  
الليلة ، ونظر إلى وقال : ماشى كلامك ، وستعشون معنا ،

سنخصص لكم ديكاً رومياً ، وهذه هي الأربعةون جنيهاً ، واتفصلوا  
اجلسوا وهيصوا معنا !.

وأخذت المبلغ وأمرت الرجال بالجلوس فجلسوا ، وشاركنا  
الناس حفلهم ، وتعشينا عشاء فاخراً ، وعند منتصف الليل قمت  
لأعود إلى بيتي ، وسلمت على الرجال ومضيت ، ولحق بي واحد من  
رجال المعلم الدهوجي وقال : هات الأربعةون جنيهاً .  
- لماذا ؟ .

- لكي أذهب بها إلى المعلم الدهوجي ، لا بد أنه ينتظرنا في  
المقهى .

- لن أعطيك شيئاً . غداً ألقاه وأعطيه المبلغ .  
- ولكنه سيظل في المقهى في انتظار المبلغ إلى الصباح .  
قلت له : إنني لن أعطيك شيئاً ، إن رأسي كالتبلة وأريد أن  
أنام ، وتركتهم ومضيت إلى بيتي .

في اليوم التالي بعد صلاة الظهر ذهبت إلى المقهى ، كان المعلم  
دهوجي هناك ومبسم النارجيلة في يده ، فسلمت عليه وقلت : لماذا  
لم تأت معنا أمس ؟ .

- أنا لا أذهب معكم كل مرة ، أنت من الآن ستحل محلي في  
الخرجات ، وعلى فكرة لم يعجبني تصرفك .  
- يعني كان لا بد أن تضرب وتسيح دماً ؟ .

- طبعاً ، إننا فتوات ولا يليق بنا أن نأخذ الفلوس من الناس

كاننا لصوص ، هذه الطريقة ستضيع هيبتنا ..

- على أى حال أنت لم تكن معنا منذ البداية ، والناس كانوا طبيين ، وكانوا يريدون الاحتفال بالمعلم زناتى ، وقد أخذنا الفلوس وسهرنا معهم .

- وتعشيتم « ديك رومى » ..

- وماذا فى ذلك ؟ ..

- فيه أننى تعشيت هنا وحدى طعمية . وبعدين أنا لا أحب أن تمضى الليالى هكذا دون ضرب ...

- إذا كنت تريد الضرب فاذهب بنفسك ..

- ما علينا .. فين الفلوس ؟ .

- هذه هى ..

فأخذها وعدها ثم ناولنى عشرة جنيهات وقال : هذه علشانك ، وأعطى كل واحد من الرجال الخمسة جنيهين ، ووضع الباقى فى جيبه وابتسم وقال : هذه الليلة عندنا زفة ، سنذهب ونعترضها ، ولا بد أن نرقص أمامها ونأخذ المعلوم .

قلت : ستأتى معنا ..

قال : لا أظن .

- أى أننى أنا الذى سأقود الخرجة ..

— لا .. سيقودها محمود النطاق هذا ! أنت ستكون تحت رياسته ... وكما قلت لك سأعطيك خمسين جنيهاً في الشهر وستأخذ عن كل خرجة عشرة جنيهاً ، فنظر إلى طويلاً وقال : عشرون ماشى !.

فقلت : الحقيقة يامعلم أن شغلتكم مش بطالة ، ولكن لى شرطاً واحداً ، وهو أنني إذا عملت معكم فلن أقبل فى الخرجات رئيساً إلا أنت ، وإذا لم تكن أنت على رأس الخرجة فأنا الرئيس .

— ماشى كلامك .. والآن فاستمع إلى جيداً فإن وراءنا الليلة عملية كبيرة .

— أى عملية ؟.

— عملية بيومى العتر « حته بتاع كدة » لا طلع ولا نزل ، من حى الخليفة ، وكان أول الأمر رجلاً ابن حلال ، يكتفى بأشياء بسيطة على قده ، ولكن طمعه أخذ يزداد من عامين ، وأن الأوان لكى نطرده من حيننا ، هذا جزء من عملنا يامعلم خليل : كل شوية يطلع لنا عفريت ولا بد من القضاء عليه أو طرده .

— نطرده لك من هنا يامعلم !!.

— الليلة !.

— الليلة !.

— الليلة سيكونون فى مقهاهم فى الزقاق خلف السوق ، أتحب

أن يخرج معك محمود النطاط ؟ .

- النطاط ؟ لم لا ؟ .

- يستحسن أن يكون معك ، إنه يعرف الحى وما فيه .

بعد العشاء تعشى الرجال فى مطعم فول خلف السينما ، ثم قصدنا إلى الزقاق وكان معنا محمود النطاط ورجب العصفورى ، كان النطاط سكراناً ، وشرب كأسين آخرين بعد العشاء ، ووجدنا بيومى العتر ورجاله ، ويبدو أنهم فوجئوا بنا ، وقبل أن نجلس تقدم منى بيومى العتر وقال : لا مؤاخذه يامعلم ، لا تستطيعون الجلوس فى هذا المقهى الليلة .

وبدأت المعركة ، والذى أدهشنى أن بيومى العتر هذا كان فى غاية الهيافة ، كان كل ما فيه صوت وجراة ، ولكنه لم يتحمل منى دفعة واحدة ، ووضع يده فى جيبه لكى يخرج مدية فيما أظن ، وقبل أن يخرجها أمسكت بيده الأخرى ولويتها لياً شديداً ، ويخيل إلى أنه صرخ فتركته يمضى ويجلس على كرسى ، وهو لا يكاد يدرى بنفسه من شدة الألم ، والمعركة كانت على أشدها ، عندما رأيت رجب العصفورى يهجم على محمود النطاط من ورائه ويضربه بقطعة من الحديد ، فيقع على الأرض صامتاً ، وفى أقل من ثانيتين كان المقهى ظلاماً وكنا نجرى فى الطريق ، وبعد أن ابتعدنا وقفنا فى خرابة ، وقلت لرجب هامساً : لماذا فعلت ذلك ؟ .

- لا مؤاخذه يامعلم لى سنتان ، وأنا أنتتظر هذه الفرصة

وصدقنى إننى لو لم أفعل ذلك لقتل الست جليلة ، ثم قال : ستكتم على ، أليس كذلك ؟ ثم قال : على أى حال أنا سأترك هذه الحرفة من الآن ، هذا الرجل قتل أخاً لزوجتى قبل أن يقتل سليمان عفيفى ، والآن انتقمت .. أجل انتقمت ؟ .. ثم أردف يقول : كان قلبى يحترق ولكننى لن أترك الفرقة إلا بعد شهرين أو ثلاثة وإلا اشتبه فى المعلم .

عدت إلى بيتى تلك الليلة وأنا لا أصدق بالسلامة ، لا أدرى كيف لم يدقق البوليس فى البحث عن قاتل محمود النطاط ، ولكن يبدو أن كل الناس كانوا يتمنون موته حتى المعلم الدمهورى - عندما أبلغته الخبر دون أن أذكر له اسم القاتل بدا على وجهه الارتياح ، ثم قال لى : طبعاً أنا لن أعرف أبداً كيف وقع ذلك ، ولكنى لا أريد أن يبقى معنا رجب العصفورى .. لا أدرى لماذا ، ولكنى لا أريده بعد أن ذهب النطاط فى داهية ، عليك أنت أن تطرده .

- أشوف يامعلم ..

- الحقيقة أن العصفورى كان يكره محمود النطاط كراهية عميقة ، لا أدرى لماذا ، حقاً كنا نكره النطاط ، وأنا أولكم لأنه كان سكيراً ، وكنا نشرب بين الحين والحين ، ولكن الإدمان فى صنعتنا داء وبيل وخطر ، فنحن ناس لنا أسرار ، والمدمن إنسان لا يؤتمن على سر ، ويكفى أن أقول لك إنه كان يستهين بالدماء

ونحن لا نستهن بالدماء أبداً ، حَقًّا إننا نضرب ونبطح ونسيل  
الدماء ، ولكننا لا نقتل ، ومحمود كان قاتلاً .

قلت : إذن غار في داهية .. ألا تظن يامعلم أن البوليس  
سيتعقبنا بسببه ؟ .

- لا أظن ، لأن البوليس سيتعقب الآخرين ، أما نحن فيستبعد  
أن نقتل واحداً منا ..

- إذن لماذا لا تريد العصفورى ؟ .

- لا أدري .. كنت لا أحبه وأخشى أنه كان خائفاً .

- على أى حال دع هذا لى .

وعندما خلوت بالعصفورى لم أجد نفسى بحاجة إلى أن أقول  
له أن المعلم لا يريده فقد بدأ هو بقوله : شوف يامعلم جوهرى ،  
الآن وقد برد قلبى من ناحية النطاق ، فقد آن الاوان أن أترك هذه  
الصنعة ، أقول لك بحق ، لقد جمعت أثناء العمل فيها عشرين سنة  
مبلغاً لا بأس به من المال ، وأخى الأكبر كان يملك محل بقالية في  
ناحية ( الشدية ) قرب بنها ، وقد مات عن سن عالية بعد أن علم  
أولاده وتوظفوا ، ولا يريد أحد منهم أن يعمل في البقالية فعرضت  
عليهم أن أشتري المحل ، واشتريته وسأمضى الآن لاتسلمه وليتك  
تأتى معى .

- وهل البقالية أفضل من صنعتنا هذه ؟ .

- أى صنعة فى الدنيا خير من صنعتنا هذه ، لقد دخلت السجن أربع مرات وقضيت فيه فوق السنوات الخمس ، وضربت وبطحت وجرحت وها أنا فى النهاية وقعت فى أسوأ ما يقع فيه الإنسان ..

- إذن فأنت حزين لأنك فعلت هذا؟

- وأى حزن ياملع ، وصدقنى أن الموضوع لو لم يكن مع محمود النطااط لكان أهون على الآن أن أسلم نفسى للبوليس .

- لا بأس عليك وأنت لن تسلم نفسك ، واملض الآن إلى قريرتك هذه وابدأ حياة جديدة .

- سأفعل إن شاء الله ، ولكن لا تنسى أن لك أخاص فى قرية ( الشدئية ) بنها .

- لن أنسى .

وعندما خلوت إلى المعلم الدمهوجى أبلغته بأن العصفورى ذهب إلى حال سبيله ثم قلت : أتعشم أن تكون راضياً عنى ياملع .

- طبعاً ياملع خليل ، وهل فى هذا كلام ؟ .

- إذن فى إلك رجاء ..

- عينى لك ياملع

- الست جلييلة ، أم زيدان أقصد .. جارترك !..

- ماذا تريد هذه ؟ .

- هي لا تريد شيئاً ، ولكنى أنا الذى أريد ..

- طلباتك ..

- أن ترفع يدك عنها ..

- إننى لا آخذ منها إلا خمسة جنيهات فى الشهر ؟ وهى بينى وبينك امرأة موسرة وزوجها ترك لها مالاً كثيراً ، وهذا البيت هو المجاور لبيتى ، وأنا مستعد ألا آخذ منها شيئاً على أن تبيعنى بيتها .

— وإذا طلبت منك يامعلم أن تبعد عنها تماماً ، إن لها ولدين : زيدان وسعيد ، وسعيد كان يعمل عندى فى محل الصياغة ، وبينى وبينه محبة ومودة ، وهو يملك الآن محل صياغة فى بلده وعندما عرف صلتى بك أتى من بلده وسألنى أن أرجوك أن ترفع يدك عن أمه .

- وأنت ، هل لك فيها مزاج ؟ ..

— عيب يامعلم هذه السيدة جاوزت الخمسين .

- ولكنها حلوة ..

- حلوة أو وحشة هذا لا يهم يامعلم ، ولكنى ذكرت لك السبب ، ففكر طويلاً وقال : موافق يامعلم خليل والله علشان خاطرک بس .

- أشكرك يامعلم وإن شاء الله أردتها عليك أضعافاً .

وعندما أبلغت الست جليلة فرحت فرحاً بالغاً ، وعرضت على ثلاثين جنيتهاً فرفضت ، ولكنها عندما علمت أنني أكل الطاجن كل يوم صنعت لى طاجناً عجيبياً يفتح النفس من بعيد ، وتعلمت منها عمله أم عبد الحميد ، ولم أكن أعلم يوم ذلك أن إدمان هذا الطاجن سيكون سبب بلوتى كلها .

( وهذا الطاجن كان يتكون من رطلين من اللحم الضانى تقطع قطعاً صغيرة وتوضع فى الطاجن مع رطل من السمن البلدى ، وبطاطس ، وكوسة ، وأى خضار مع كمية هائلة من الملح ، والفلفل ثم يقفل الطاجن ويوضع فى الفرن من العاشرة صباحاً إلى الثانية بعد الظهر ) فأعود إلى البيت وأكل الطاجن كله ، ثم أنهض إلى الفراش وأنام إلى السابعة أو الثامنة مساءً ، ثم أنهض وأستحم والسعادة تبدو على وجهى ثم أبدأ شرب الشيشة والكلام مع أصحابى ، وظللت أعمل ذلك فوق العشرين سنة .

لم أكن أتصور أن القتل يمكن أن يرج المجتمع هذه الدرجة العنيفة ، فقد تغيرت الدنيا من حولى ، وأصبحت من شخصيات الحى الكبيرة لمجرد أن الناس عرفوا أن الجماعة التى أعمل فيها من الممكن أن تقتل ، وقد عرفت مع الزمن أن الشعب المصرى شعب طيب جداً ومسالم جداً ، وأن جريمة القتل تفرزه فرزاً شديداً ، حقاً كان الناس كلهم يعرفون أنني لست القاتل ، وأن القاتل هو محمود النطاط ، ولكننى كنت رئيس النطاط ، ولقد فرح الناس كلهم لموت

محمود النطاظ ، وحزن الناس جميعاً على سليمان العيفى مع أنه كان معروفاً بأنه مجرم كبير ، ولكن عندما وقع قتيلاً ، حزن الناس عليه ونسوا أعماله البشعة ، ولم يعودوا يذكرون إلا أعماله الطيبة القليلة ، ومنها أنه كان يعتمر مرة كل سنتين ، وكان يقول : إن الإنسان يستطيع أن يرتكب أشنع الجرائم ، فإذا حج أو اعتمر غفر الله له كل شيء ، وكان الكثيرون من الخلق يرون هذا الرأى ، وعبثاً تحاول أن تقنعهم بأن هذا خطأ ، ولكننا - كما قلت - شعب طيب جداً ، وساذج بصورة يصعب تصورها ، وهذه الطيبة وتلك السذاجة هما سبب ضحكه الدائم ، فهذا شعب يضحك طوال الوقت ويضحك لأقل نكته وأتفه مناسبة ، ولهذا فنادرأ ما يصاب المصريون بأمراض عصبية .

\*\*\*

كان أول من قصدنى ورجانى أن أجتهد فى أن أكون فتوة مكان حسنين الدمهوجى جماعة شارع الصاغة فى حى خان الخليل ، وقد قالوا لى : إن الدمهوجى رجل نذل وجبان وجشع ، وأنه كان يهددهم دائماً بالنهب والعدوان ، ويجمع منهم أموالاً طائلة وقالوا لى : إنهم مستعدون لأن يدفعوا لى مائة جنيه فى الشهر خالصة لى ، ومائة لكى أوزعها على رجالى إذا أنا خلصتهم من هذا الشرير .

وقد كنت حريصاً جداً فى الكلام معهم ، فمن يدرى فلعل حسنين الدمهوجى هو الذى أرسل بعضهم ، ولكنى اتفقت معهم

على أن آخذ منهم خمسين جنيهاً في الشهر ، وأتولى حمايتهم من  
الدمهوجى ، وكانت هذه الخمسون جنيهاً مبلغاً طائلاً من المال  
آنذاك ، فاستأجرت طاهياً وسفريجياً وخدامة ، وعشت عيشة ملوك ،  
وكان الطاهى يعد لى الطاجن كل يوم وكنت أكله بنهم ، ثم أنبطح  
على السرير إلى الساعة السادسة ، ثم أنهض فأصلى العصر وأخرج  
فأصلى المغرب فى الجامع ، وقد كان ذلك - أصارحك - نفاقاً ، فقد  
كنت قليل الإيمان ، وكانت هناك سيده تسمى كوكب ، كانت أخت  
السيدة جليلة أم زيدان ، وكانت امرأة فى أوائل الثلاثينات وكانت  
عاقراً ، ولهذا فقد تزوجت منها ، وهذه المرأة تزوجت وطلقت ثلاث  
مرات دون فائدة ، وكانت امرأة حلوة ولطيفة وأظن أنها كانت قليلة  
العقل ، فقد كانت خفيفة شلوعة وأنيقة ، ولكنها كانت تضحك  
طوال الوقت ، وكانت ترقص رقصاً بلدياً جميلاً ، وكانت أختها  
ترسلها لى بين الحين والحين بالطاجن الذى كانت تعده بطريقة  
عجيبة ، فقد كانت العطارة التى فيه مع الفلفل والقرفة والزعتر إلى  
جانب السمن البلدى ودهن لحم الخروف تجعله أشبه بالمخدر ،  
ولم يقل وزن اللحم فيه عن رطلين أبداً فكنت أكل ثم أغتسل ثم  
أنبطح وأنام ، بينما كانت كوكب تتولى غسل المواعين وتدير الخدم ،  
تزوجتها ورأيت معها عزاً كثيراً جداً ، فقد كانت إلى جانب فضائلها  
التي ذكرتها تحبنى وعرفت من أختها أن سنهال لا يصل إلى  
الخامسة والثلاثين ، ومادامت أختها جليلة تلح على دائماً فى أن  
أتزوجها ، وكانت تقول لى : إنها ستعقل إذا أنا تزوجتها فقد وافقت

في النهاية وتزوجتها وأختها جلييلة أم زيدان هي التي تكفلت بالفرح وكل تكاليفه ، وقد سعدنا بذلك ليلة عظيمة ، ومن الغريب أنني بعد أن تزوجتها حملت مني مع أن سنها كانت تقارب الأربعين ، وقد فرحت أختها جلييلة بذلك فرحاً عظيماً ، وولدت غلاماً لطيفاً سميناً إبراهيم على اسم والدها ووالد جلييلة ، وقد عقلت « كوكب » بعد الزواج والخلفة ، وأقلعت عن أعمال الخفة والرقص وأصبح الولد هو سعادتها في الدنيا ، وقد أخذته إلى بيت أختها جلييلة وقالت : إن بيتي مليء برجال أشرار ، وهي لا تأمن على ابنتها معهم ، وكانت على حق ، وقد استرحت من هذه الناحية .

وكنا مستمرين في أعمال الفتونة ، فكنت كل يوم بعد صلاة المغرب أذهب إلى المقهى الصغير الذى يجلس فيه حسنين الدمهوجى ، وكنت أجده كل يوم في نفس المنظر قابلاً وراء ترابيزة في المقهى ، ومبسم الشيشة في يده ، وكان هو الذى يرسم لنا الخطط ويحدد لنا الخرجة كل ليلة ، وكنت أطيعه بعد أن أصبحت شخصية عظيمة بفضله .

كنت طويلاً ثقيل الوزن ، وكنا نهدد المحلات بالهجوم ونطلب مالا ، وفي الغالب كانوا يساوموننا . ثم يدفعون لنا شيئاً لأبأس به : مابين ثلاثين جنيهاً وستين جنيهاً وكانوا يعطوننى إياها ، فكنت أضعها في جيبي وأكمل سهرتى ، ثم أعود إلى بيتى فأنام كالعجل إلى قرابة الظهر ، ثم أنهض فأذهب إلى المقهى وأقابل الدمهوجى وأعطيه

المال فيأخذه ، ثم يعطينى منه عشرة جنيهاً ويرسم لى خطة الليلة  
وهى فى الغالب تهديد أفراح ، ونادراً ماكان الناس يتجرءون على  
نزالنا فكنا نتفق معهم ، ولكننا فى ذات ليلة اختلفنا مع أهل الفرخ  
اختلافاً شديداً ، وكان حفل زواج ابن المعلم ( حمدان أبو كرشه )  
وكان متعهد فواكه ، وكان غنياً ورجاله عشرات بل مئات ، وكان  
معى خمسة رجال على رأسهم ( شهاب أبو زكريا ) ، وهو بلطجى  
شجاع اخترته وضممته لنا ، وكان طائشاً وسكيراً ، ولكنه كان  
شجاعاً كالأسد ، فلما وصلنا إلى فرخ المعلم ( حمدان أبو كرشه )  
وجدنا شيئاً هائلاً حقاً ، فقد كانت الأضواء تتلألأ ، وتخطف  
الأبصار .

وكان المدعوون مئات والدنيا هيصة ، وعندما أقبلنا تقدم إلينا  
رجل طوله متران يسمى يعقوب الزنط ، كان كبير رجال المعلم  
حمدان ، وقال : إنه لن يسمح لنا أن نتعشى ونشارك فى السهرة ،  
وعز على أن يواجهنى يعقوب الزنط بهذا التهديد أمام الناس  
والعصا بيده ، وكان ( شهاب أبو زكريا ) سكران ، فما دريت إلا  
وهو يضرب يعقوب الزنط بالعصا على رأسه ، ويجرحه جرحاً  
كبيراً ، ووقع الرجل على الأرض وبدأت المعركة ، وكانت حامية جداً ،  
بدأت بتحطيم الأنوار ، والكابلات ثم اشترك الناس كلهم فى المعركة ،  
وسالت الدماء ، ولا تتصور بشاعة هذه المعركة ، ولكننا خربنا  
الشارع وهزمناهم ونهب الرجال الذين كانوا معى أموال الناس ،  
ومصاغ النسوان ، وأخذنا شيئاً هائلاً ، ولم تنته المعركة إلا حوالى

نصف الليل ، فعدت بالمغانم الكثيرة إلى بيتى ، وكنت قد أصبت بجرح كبير فى أعلى ظهرى ، ولم أستطع النوم وكان لا بد أن أذهب مع ( شهاب أبو زكريا ) إلى قصر العينى ، وهناك زعمنا أن سيارة دهمتنى ، فأجروا لى عملية واسترحت ونمت ، ونام معى هناك ( شهاب أبو زكريا ) .

وفى اليوم التالى أتى رجال البوليس ، وقالوا : إنهم فتشوا بيتى وأخذوا المغانم وأنهم يحيلوننى مع ( شهاب أبو زكريا ) واثنين آخرين إلى النياية ، والنياية طلبت حبسنا خمس سنوات وكانت قضية طويلة ، انتهت بالحكم على بالسجن ثلاث سنوات ، وكانت تلك أول مرة أدخل فيها السجن .

\*\*\*

وأنت لا تعرف معنى السجن فى تلك الأيام ، كان أحسن من السجن فى أيامنا هذه ألف مرة ، سجنونى فى سجن طره ، وكان مديره إنجليزياً يسمى الميجر رودنى ، وكان رجلاً عاقلاً جداً ، وحازماً جداً ، وعادلاً ونظيفاً جداً .

والنظافة عند هؤلاء الناس كانت نظافة حقيقية ، لا مجرد كلام كما هو الحال اليوم . فكانت الغرف آية فى النظافة وكذلك الزنانات أما دورات المياه فكانت تحفة ، كانت تلمع وتبرق ، وكان يشرف عليها صول إنجليزى ، وكانت عقوبته للعساكر المهملين فى النظافة هى الجلد ، وصدقنى أن خمس جلدات كفيلا بأن تؤدب الشيطان ،

وكانوا يجلدون بسيور من الجلد ، فيكتفون المحكوم عليه بالجلد ، ويخلعون ملابسه التحتية ويجلدونه على مؤخرته بكل عنف ، وبعد الجلادات الخمس كان الطبيب يفتح جروحاً في موضع الجلد ، ليخرج الدم الميت ويجف ، وكان الرجل يستغيث ويصرخ ، ولكن أحداً كان لا يرق له ، وبعضهم كان يموت من الجلد ، ولكن الميجر رودنى كان يقول : إن القانون في إنجلترا لا يعاقب الجلاد في هذه الحالة ولا يحقق معه ، لأن هذه عقوبة ، ومن يريد أن يتحاشاها يستطيع ذلك ، ومادام قد أجرم فلا بد من عقابه .

وكان الناس يرهبون الجلد رهبة شديدة ، ولا أذكر أن إنساناً جلد ثم عاد إلى الجريمة ، وأنا شخصياً خفت من الجلد جداً ، وسرت على العجين لا الخبطه ، وكنت مطواعاً جداً في السجن وأحبني الميجر رودنى لأننى كنت لا أدخل في سخافات المسجونين الآخرين ومشاجراتهم ، وكنت قوياً جداً . فكان الميجر يحبني ويدخرني فكان الميجر يدخرني لكبار الأعمال ، وكنت أشبه بحارس له ، فكنت أكل من أكله وهذا الأكل لم يكن له طعم ، ولكنه شفانى من الطاجن طوال مدة السجن ، وقد تحسنت صحتى .

كان المساجين يخافوننى ولا يجروؤ إنسان منهم على المساس بى لأننى كنت أضرب ، وياويل من كنت أضربه ، كنت أفتت عظامه وكان ضربى لهؤلاء المجرمين أليماً جداً ، ولكننى نادراً ما كنت أجرح أو أبطح أو أكسر ذراعه وكنت أرفع الرجل وأهبده على الأرض

هبدة يظل راقداً بعدها أسبوعاً ، وكنا نعمل في الجبل ونكسر الزلط ، وكنت أعمل بعشرة من الآخرين ، وكان الميجر إذا سمع بأن أحداً من السجناء يتكاسل يسلطنى عليه ، فأمره بالعمل فإذا قاوم ضربته قلماً ، أعوج به رقبتة شهراً ، وكان هناك سجين عامل فتوة فتحدثته ، واتفقنا على أن نتضارب وسط زملاء ، ولا يتدخل أحد ، وإذا أراد أن يستعين بعضاً أو مدية فليقل لى لكى أتسلح بمثلها ، وهذا الرجل وقف أمامى كالديك والناس من حولنا ، وبدأنا المضاربة ، وأراد أن يهوشنى فحاول أن يضربنى برأسه فانكسرت رأسه ، ثم ضربته قلماً على قفاه ، فانكفاً على الأرض ولكنه لم يلبث أن وقف وأصابتنى منه ضربات موجعة ، ولكنى فى النهاية تمكنت منه ، وضربته فى بطنه ضربة وقع على أثرها على الأرض ، وجعل يتنفس بصعوبة ، كأنه يموت وأسعفه الطبيب ، ولكنه أصبح يخافنى كأننى سبع . وكذلك خافنى كل المساجين والعساكر وأصبحت ملك السجن ، وقد قبضت على سجين كان يتاجر بالمخدرات سرّاً فى السجن ولا حظت أنه يتصرف تصرفاً شريراً كان يتصرف تصرف من يخفى سرّاً ، فرقبتة ، واكتشفت مسألة المخدرات ، وهنا عاقبه الميجر رودنى بالجلد ست جلادات ، مات فيها وذهب فى داهية ، ونظراً لحسن أخلاقى فقد أصبحت السنوات الثلاث سنتين ، وخرجت من السجن أحسن ألف مرة مما دخلته .

وكنت قد صممت على أن أترك الفتونة ، ولكننى عندما خرجت وجدت أتباعى ورجال الحى على باب السجن ، واحتفلوا بى

بالرقص والغناء كأننى بطل ، فعدت إلى الفتونة من تلقاء نفسى ،  
لأن الناس سئموا الدهوجى وكانوا يريدوننى .

ولكننى مع الأسف الشديد ، عرفت أن ابنى إبراهيم مات ،  
جاءته حمى ومات ، وكذلك ماتت أمه كوكب ، وقد حزنت عليها جداً  
لأنها كانت بنت حلال ، وقد حلت محلها أختها جلييلة أم زيدان ،  
وأظن أن هذه المرأة كانت تحبنى ، وكانت فى الخامسة والخمسين  
من عمرها ، ولكنها كانت جميلة وسمينة وغنية ، وقد أدارت بيتى  
بكل مهارة وأنفقت من مالها الكثير ، ولكنى عدت إلى الطاجن وهذا  
أسوأ ما فى الموضوع .

ولكن علاقاتى بحسنين الدهوجى قد ساءت جداً ، فقد كرهه  
الناس كرهاً شديداً ، وكان قد طرد الرجال الذين تعودنا أن نعمل  
معهم ، وأتى برجال سفلة أوغاداً ، فطردتهم كلهم ، وأتيت برجال  
كالأسود ، وصدقنى أننى لم أكن أفكر فى إخراج الدهوجى من  
الفتونة ، ولكنه هو الذى أخرج نفسه بسوء أفعاله .

لم يكن لى يد فى مقتل سليمان عفيفى أو محمود النطاط ، والله  
وحده يعلم أن هذا الأخير كان يثير نفسى ، ومجرد رؤيته كانت  
تملؤنى غضباً ، ولكنى كنت أكتم عواطفى وكانت الصفة الأساسية  
فى هذا التعيس أنه كان غيبياً جداً ، وغباؤه هذا كان يعطيه جموداً فى  
الوجه ، وبلادة فى العينين تخيفان معظم الناس ، وكان حسنين  
الدهوجى الفتوة يستغله استغلالاً سيئاً ، ويخيف به الناس ،

ولا أدري إن كان هذا الرجل قد قتل العشرات كما يقال ولكنى تبينت أن معظم هذه الأقوال كلها كانت شائعات وأوهاما .

وبعد موته كانت الرغبة في التخلص من ( شهاب أبو زكريا ) تملأ نفسى ، وخاصة بعد مقتل النطااط لأن شهاباً هذا كان أغبى وأبغض إلى النفس من محمود النطااط ، وبعد مقتل النطااط بدأ حسنين الدمهوجى يعد (شهاب أبو زكريا ) لإرهاب الناس ، ولهذا فقد قررت في نفسى أن أتخلص منه .

ولكن الذى أثار دهشتى وأوقفنى عن التصرف ، هو أن مصرع هذا الإنسان البغيض أقصد محمود النطااط - زاد من قدرى عند الناس ، كأنهم ظنوا أن لى يداً فى مقتله ، وقد زارنى كبار تجار الصاغة ، وخان الخليلى ، والنحاسين ، والغورية ووجوههم طافحة بالبشر وروح المودة وهؤلاء الناس كانوا بالفعل محترمين جداً ، ومن عاداتهم إذا زاروك أن يتركوا لك هدية قيمة - من الذهب فى الغالب - ومعها مال ، وكانوا مستعدين للزيادة ، وقد أحصيت ما تجمع لى من مال فى بحر أسبوع فزاد قليلاً على أربعمائة جنيه ، فإذا أضفت إلى ذلك الهدايا ، رأيت أننى أصبحت بالفعل رجلاً غنياً فى نظر نفسى على الأقل .

ولكن الصفة الأساسية التى كان عمال الفتونة ينتظرونه من رجل مثلى هو الكرم ، كان لا بد أن أعطى كل واحد من مساعدى جزءاً من المال الذى يصيبه ولكن هذا لم يكن كافياً ، فقد كان لا بد أن

أعطى كل واحد منهم شيئاً من جيبى ، وكنت أكره ( شهاب أبو زكريا ) لأنه كان إنساناً بغيضاً طماعاً ، ولم يكن محمود النطاط أحسن حالاً من شهاب زكريا ولكن الناس جميعاً فرحوا لموت النطاط ، وكنا جميعاً نعرف أن ( شهاب أبو زكريا ) هو الذى قتل النطاط ، ولكن أحداً لم يقل شيئاً خوفاً منه ، فقد كان مجرماً حقيقياً ، وأعتقد كذلك أن حسنين الدمهوجى كان يكرهه ويخاف منه ، وأنه مسرور لموته ، وربما ظن أن لى يداً فى موته خاصة وقد زاد مالى كما قلت ، وأحس بذلك الفتوة الدمهوجى ولأول مرة رأيت بعد مقتل النطاط ، قرأت فى وجهه جموداً وتعالياً صامتاً وقال : صدقنى أننى استرحت لموت محمود النطاط ، كان يسبب لى متاعب كثيرة ... وأنت ؟ ! .

- لم أعرفه معرفة كافية ولكن الحق أننى لم أحبه قط ، وإذا أردت الحق قلت : إننى لم أكرهه كذلك ، وإذا كنت أنت مستريحاً لاختفائه ، فنحن إذن لم نخسر شيئاً .

- وأظن أنه كان جاسوساً للبوليس ، ولكن دعنا من أمره فقد راح فى داهية ولدينا سيد سيده .

- من تقصد ؟ .

- كثيرين ( شهاب أبو زكريا ) مثلاً ، المهم أننا مازلنا كما نحن ونريد الآن أن نضرب ضربة جامدة ، فأنا محتاج لنقود لأن بنتى - عقبال عندك - ستتزوج الأسبوع القادم ، ولن تنفعنى إلا خبطة فى

الصاغة ، والبركة فيك .

- ولماذا تضرب أولئك الناس أو تؤذيهم ، ألا يمكن التفاهم معهم بالذوق والإنسانية ؟ .

- دى تبقى شحاته بقى ، واحنا فتوات !! .

- لكن يامعلم الدنيا تغيرت والبلد فيه ثورة ، والبلد فيه سيد جديد ، هو سعد زغلول والناس كلهم معه .

- سيبك منه ، كل ده كلام فارغ ، زيه زى عرابى وغيره . البلد ده مافيهوش غير الإنجليز همه دول القوة والخير والبركة .

- خير وبركة ازاي يامعلم . دول أعداء البلد ، ونحن مصريون مثل غيرنا ، ولا بد أن نكون مع الوفد وسعد زغلول .

- شوف يامعلم خليل ، لا تضيع نفسك ، نحن فتوات ولا نحترم إلا الإنجليز ، ولن نتحول إلى شحاتين .

- مادمت أنت لا تقود الخرجات فدعنى أتصرف بمعرفتى ، وكل ما تريد سيصلك ولا داعى للأذية .

- أنت ستضيعنا بذلك ، إننى فى حاجة إلى ألف جنيه على الأقل .

- دعنى أتصرف بمعرفتى يامعلم .

- شوف ، عندك شهاب أبو زكريا ، إنه سيأتى الآن وستتفقان .

أمامى .

أنا لا أعرف إلا أنت يامعلم ، وأرجو ألا تهبط بى إلى مستوى  
أبو زكريا ) .

- إنه الآن ذراعى اليمنى .

- أنا ذراعك اليمنى يامعلم ، ودعنى أتصرف أرجوك .

واستمرت المناقشة بينى وبينه دون فائدة ، فقد كان فى الحقيقة  
لصاً جامد القلب ، يريد أن ينهب الناس بالإرهاب ، وهو قابع فى ذلك  
المقهى الحقير والشيشة فى يده .

وأتى أبو زكريا وانضم إلى المعلم حسنين طبعاً وقال : شوف  
يامعلم خليل ، شغلتنا دى شغلة شطارة وجدعنة ورجولية ، وإذا  
لم تكن أنت مستعدا لقيادة الخرجات فدعنا نحن نشوف شغلنا .

- كده ؟ صدقنى لا مانع عندى ، ولكن لا بد أن يعلم الناس  
جميعاً أننى تركت شلتكم .

فقال المعلم حسنين : اطمئن من هذه الناحية ، أنا سأقول ذلك  
للناس كلهم وسأعرف كيف أعود بك إلى الفقر الذى نسيتة ..

- لا لزوم لهذا الكلام يامعلم ..

- لا .. له ألف لزوم ، لأن الواحد منكم يأتينى متسولاً ، فإذا  
جرى المال فى يديه نسى أصله ونسى فضلنا عليه . .

ورأيت أن خير ما أفعله هو أن أتركه وأمضى ، فإن المسألة  
أصبحت مسألة قلة أدب ، وبالفعل تركته ، ومضيت إلى بيتى ، وقد

عولت على ألا تكون لي به أو بالفتونة علاقة ، وكان عندي من المال ما يمكنني من فتح محل صغير ، وكان للست جليلة أم زيدان قريب عطار وكان يقول لي : إن العطارة تكسب الذهب ، وأنه في خدمتي إذا أنا شئت أن أدخل ميدان العطارة ، فاستقر رأيي على أن أتكلم مع الست جليلة بعد أن أصحو من نومة الظهر لأنظر في هذا الأمر قبل أن تضيع الفلوس .

وأكلت الأكلة إياها ونمت إلى حوالي السادسة والنصف ، ولم أكد أكمل استعدادي للخروج والمرور على الحلاق ، حتى أتاني عسكري بوليس وقال لي : إن سعادة المأمور الجديد يريدني في الحال ، وذهبت وقابلته ، وكان رجلاً جميلاً محترماً طويلاً عريضاً ، وقد استقبلني في ملابسه الرسمية استقبالاً طيباً وقدم لي سيجارة وقال : شوف يامعلم خليل ، لابد أنك تعرف أنني جديد هنا ، وأنا لا أحب الفتونة ولا أريدها ، وأعتقد أنها لابد أن تختفي ، لقد ناديت حسنين الدمهوجي وتكلمت معه ، ووعدني بأن يقلع عن هذا العمل ، ولكنه قال لي : إنك رئيس العمليات عنده وأنتي لابد أن أتكلم معك .

- ومتى رأيته ياسيدي القائمقام ؟ ..

- أمس ، ولم يعجبني فيه شيء ، ويبدو أنني لابد أن أمسح به الأرض ، إن الدنيا تتغير ، وأيام الإنجليز انتهت ، والبلد فيه اليوم بوليس محترم .

قلت : أنا أدرك كل هذا ياسيدي القائمقام ، وأنا متفق معك على

كل شيء ، وصدقني عندما أقول لك : إننى قررت قبل أن أزورك  
بمدة أن أترك هذه الحرفة ، وأدخل فى عمل جديد ترضى عنه ، ثم  
إننى لم أقض فى هذا العمل مدة طويلة ولم يعجبنى أبداً ، خاصة أن  
فيه أناساً مثل حسنين الدهوجى .

- هذا كله متوقف عليك ، وسأقول لك ماقلته له بالأمس : أنا  
رجل لا صبر لى على أشياء غريبة مثل الفتونة ، ولا بد أن أخلص منها  
وسأعرف كيف ، كما قلت لك : البلد فيه بوليس وحركة وطنية ،  
وهذا هو أهم شيء الآن .

- منى أنا لن ترى ياسيدى إلا كل خير .

- أنا متشكر ، والآن تفضل أنت ، فقد قلت لك ماكنت أحب أن  
أقوله لك هذه المرة مع ألف سلامة ، ومد يده وصافحنى وخرجت .

ومررت على الحلاق ، لم يكن فى ذهنى أى شيء هذا الرجل  
مسح ذهنى مسحاً وأثار فى نفسى شيئاً من الغيظ ، وذهبت إلى  
الست جلييلة ورحبت بى ترحيباً فياضاً ، وبعد قليل سألتها عن  
قريبها العطار فقالت : فيم تريده ؟

قلت : أقول لك الحق ، والكلام هنا بينى وبينك ، لقد فكرت فى  
حرفة أحترفها إلى جانب الفتونة ، لأن الفتونة فى ذاتها لن تدوم ،  
والبلد تتغير والناس تتعلم وفى البلد اليوم فتوة كبير ومحترم يسمى  
سعد زغلول ، وعلينا كلنا أن نقف معه ضد الإنجليز .

- مهما حدث ، فأنا لا أرى أن تنصرف عن الفتونة ، إنها كنز ياعم خليل ، ولا أظن أن البلد يستغنى عنها أبداً .

- بل يستغنى يأم نفيسة ، ثم إننى أنا لن أترك الفتونة ولكنها هى ستختفى ، وكما قلت لك : إن البلد فيه فتونة من نوع جديد ، يسمونها الحركة الوطنية ويقودها كما قلت لك فتوة كبير - وباشا كمان - اسمه سعد زغلول ، وأنا لم أر هذا الرجل ولكن صدقيني ، إننى أحبه وأتمنى أن أقف معه ، لأننى مبسوط جداً من وقوفه في وجه الإنجليز ، وأنت ترين أن الناس يحبونه حباً جنونياً ، وأنا من عيلة كبيرة ، والفتونة لا تناسبني .

ولم أقل لها عما جرى بينى وبين المأمور ، لا أدري لماذا كنت أرى أن أمثال هذا التركي أو الشركسى ، لا ينبغي أن تكون لهم كلمة علينا أو يكون لهم على بلدنا أى سلطة ولو أن هذا المأمور مختلف بعض الشيء ، فقد رأيت أن عنده إحساساً كاملاً بالحركة الوطنية وسعد زغلول .

على أى حال لقد استحسننت الست جلييلة فكرتى عن العطارة وأرسلت فأنت بعم منسى العطار وقد أعجبنى شكله ، فقد كان نظيفاً جداً رغم فقره الواضح ، وكان يتكلم كلام الفاهم لما يقول ، المدرك لأسرار العطارة ، وقد قلت له : إننى لن أفهم العطارة مثله - ولكننى أريد أن أكون عطاراً وأننى أترك له كل شيء : الدكان والعطارة وقلت له : إننى أكتفى بالإشراف من بعيد ، وله أن يأخذ

مايريد ويدع مايريد .

وقالت الست جلييلة : هذا كله معقول ولكنه لا ينفع ، اسمع  
يامنسى : المعلم سيعطيك ما بين خمسمائة وألف جنيه - وكل شيء  
بحساب ، وأنت تبحث عن المحل وتؤجره - باسمه طبعاً - وتوضبه  
من كل ناحية وتملؤه عطارة ، نريد أحسن محل عطارة في مصر ،  
وسيعطيك المعلم خمسة وعشرين جنيهاً في الشهر ، كويس كده ؟ .

- أشياء معدن ياست ، ربنا يزيدك من نعيم الله ، بس المعلم  
موافق .

- طبعاً موافق ، وأنت في هذا العمل من الغد ، والفلوس تحت  
أمرك .

قالت : بس عاوزين دفاتر يامنسى ، كل شيء في دفاتر أرجوك  
وأنت ستمسك الدفاتر .

- أمرك ياست ، ترى يامعلم هل تناسبك الساعة العاشرة  
صباحاً .

- ولماذا العاشرة ، تعال التاسعة لتكتب العقد ، وتأخذ النقود ،  
وتتوكل على الله .

وبعد قليل نهضت أنا ومضيت لكى أرى حسنين الدمهوجى ،  
وكان لابد أن أراه لكى أضع نهاية للعمل معه ، مادمت سأبدأ  
العطارة من الغد ، وجدته على عادته في مقهاه خلف الترابيزة وفم

الشيثة في يده ، كانت على وجهه ابتسامة صفراء ، فهمت معناها عندما قال : ما هو قد ذهب ؟ .

- من هو الذى ذهب ؟ .

- صديقك المأمور التركى الذى ذهبت واتفقت معه علينا .

فجلستُ في هدوء وطلبت قهوة وقلت : لا أدرى يامعلم ، متى تتعلم الكلام ؟ ، كيف تقول مثل هذا الكلام وأنت فتوة ، « وقد الدنيا » ؟ .

- أليس صحيحاً ؟ .

- ولا حرف فيه صحيح ، ثم أين ذهب هذا المأمور ؟ .

- نقلوه حكمداراً فى الدقهلية فيما أظن ، لم يكن من الممكن أن يستمر هنا بعد أن قابلنى وعرفنى وقلت له ما قلت ، لم تفهمنى إلى الآن ، ومع ذلك فليس لدينا وقت نضيعه وعندنا مساء غد خرجة معتبرة : خمسة من أكبر تجار القماش عادوا من الحج ويطعمون غداً حفلة أبهة ، وقد اخترت ( شهاب أبو زكريا ) لقيادة الخرجة ، ولكن حيث أنك أتيت فلا مانع لديه فى أن تقودها أنت ، هذه فيها خمسمائة جنيه على الأقل ، إذا دفعوها سهرنا معهم وكنا حبايب وإلا كانت ليلتهم سوداء .

- شوف يامعلم ، مادامت المسألة بدون أذى أو دم فأنا فى خدمتك على أن يكون هذا آخر عمل لى معك .

- وإذا كان فيها دم ؟ .

- مادمت أنا ريس الخرجة فاترك هذا الأمر لي ، والآن سيقول لي شهاب أين نتقابل ، ومن سيكون معنا ومع من نتكلم ، والتكال على الله ، وشربت القهوة وأخذت شهاباً على جانب وقلت له : شوف يا شهاب . أنت تعرف أن طريقتي مع الناس الذوق والأدب ، وهؤلاء تجار محترمون وعائدون من الحج ، وهم جديرون بالاحترام ، وأرجوكم أن تدعني أتصرف كما أحب .

وتلاقينا وسرنا نحو الحفل ، لاحظت أننا كنا ثمانية أشخاص هذه المرة ، لا أدري لماذا ، فهذا ترتيب حسنين الدهوجي ، ولكنني لم أقل شيئاً ، وكان شهاب محمر الوجه ، وكان من الواضح أنه أكثر من الشراب ، واقتربنا من الحفل ، فإذا هو فخم وبهيح وحافل بالناس ، على بعد خطوات منه وقفنا وقبل أن نتقدم خرج ( شهاب أبو زكريا ) من الصف وتقدم والرجال وراءه دون أن يسأل عني وهجم على كرسي ، وأخذه بين يديه وقال : فين المسئول عن الحفلة دى ... ؟ وتقدم منه رجل وقور وقال : ليس لنا مسئول يا أخ ، ولكن ماذا تريد منا أنت وإخوانك هؤلاء ؟ .

- أنتم تعرفوننا طبعاً ، نحن رجال الفتوة حسنين الدهوجي ، ونريد - هكذا دون كلام - ألف جنيه .

واستشطت غضباً ، وتقدمت منه فأمسكت بالكرسي في يده وقلت للرجل : نحن كما قال لك صاحبي رجال الفتوة الدهوجي ،

وعاوزين منكم خمسمائة جنيه .

- على العين والرأس ، ثم أدخل يده في صدره يطلب الفلوس ،  
وإذا بحسنين الدمهوجى يتقدم ، لا أدرى من أين أتى ويقول : ألف  
جنيه كما قال الفتوة شهاب .. أنا حسنين الدمهوجى .

قلت : الاتفاق على خمسمائة يامعلم .

وأخذت الخمسمائة جنيه ووضعتها في جيبي والرجل يقول :  
اتفضلوا اسهروا معنا .. وإذا بشهاب يحاول انتزاع الكرسي من  
يدى لكى يبدأ في تحطيم الأنوار والسلب والنهب ولكنى انتزعت  
الكرسي من يده ، وأمرت الرجال بالآ يقذف أحد منهم شيئاً ،  
وحذرتهم ، وضربت شهاباً ضربة عنيفة كنت أريد بها وجهه ،  
ولكنها أصابت رقبته إصابة عنيفة جداً فأغمى عليه ، ووقع على  
الأرض وتفرق الرجال ، والتفت أبحث عن حسنين الدمهوجى ، فإذا  
به يستدير لينصرف ، وكان غيظى منه شديداً ، فأمسكت بقفاه  
وجذبتة ثم خنفته وصفعته ، وحال الرجال بيننا وأخذوه ومضوا ،  
وأتانى أحد الحاضرين بكرسى فجلست وقلت للرجل : أصلى  
لا أحب هذه العقول ، والفتونة ليست سرقة .

- إذن فأنت المعلم خليل الجوهري ، اتفضل يامعلم اتفضل ،  
فجلست وأنا أقول : لا عليكم استمروا أنتم في حفلكم ولا بأس  
عليكم .

- البوليس عاوزك ، ولكن تسهر وتأكل معنياً أولاً ، عرفت

بطبيعة الحال لماذا يريدوننى فى القسم ، مادام المأمور قد نقل فقد أصبحت السلطة فى القسم فى يد الصول مؤقتاً ، وهو من رجال الدمهوجى ، ولو فى الظاهر ، وعندما وصلت إلى القسم قال لى الصول : ماهذا الذى فعلته يامعلم ؟ كسرت رقبة ( شهاب أبو زكريا ) وضربت المعلم الدمهوجى ؟ هل يجرؤ إنسان على ضرب كبير الفتوات ؟.

- ضربته لأنه كان لُصاً ، وشهاب أبو زكريا « قتال قتله » ..

- ولكن التجار الذين ذهبتم إليهم أمس كلهم حرامية .

- من قال لك إنهم حرامية ؟ .

- إنهم يعملون مع اليهود والطلاينة والحمايات ، وفلوسهم

كلها حرام ..

- أنت الذى تقول ذلك يا حاضرة الصول .

- لأننى أعرفهم عمرى كله ..

- ماعلينا .. ماذا تريد منى ؟.

— أريد أن أثبت فقط أننى استدعيته لأن لدينا إصابتين

جنائيتين ، وأنا لا أستطيع القبض عليك لأن هذا يحتاج إلى أمر

نيابة ، ووكيل النيابة سيكون هنا غداً فى التاسعة صباحاً ، وأنت

تستطيع أن تعود إلى بيتك الآن ، ولكن لا بد أن تكون هنا فى التاسعة

صباحاً ، وأرجو أن توقع هنا ، ووقعت ومضيت .

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، ولم أرد الذهاب إلى بيت الست جليلاً مع أنها كانت زوجتى إلا أنها كانت تنام في بيتها ، إلا إذا كنت أريدها ومن حسن الحظ أنها كانت لديها سهرة ، فأخذتها على جنب وحكيت لها ماجرى ، وأعطيتها سبعمائة جنيه ورجوتها أن تستدعى المعلم منسى في الصباح ، وتكتب معه العقد في الحدود التى اتفقنا عليها لكى يشرع في التنفيذ ، ويفتح محل العطارة باسمى في الحال ، قلت لها إننا نجعل راتبه الشهرى ثلاثين جنيهاً في الشهر ونعطيه المصاريف ، وسأذهب الآن إلى بيتى ، فدعتنى إلى إكمال السهرة عندها فاعتذرت بأننى متعب ، وكنت فعلاً متعباً ، قلت لها إننى أتوقع القبض على من الغد ولكن هذا لا يهم ، المهم أن يأتينى المعلم منسى بالعقد في القسم قبل الظهر .

وذهبت إلى بيتى ونمت ، كانت أم عبد الحميد قلقة علىّ جداً وفرحت عندما رأتنى ، كان هناك أيضاً جمعة . دخلت فنمت في الحال .

وقبيل التاسعة صباحاً كنت في القسم ، ولم يلبث وكيل النيابة أن أتى . عرفت أنه كان في القسم من السابعة صباحاً ، وأنه ذهب إلى المستشفى ثم عاد ، وقال لى : عندك حظ . لقد أفاق هذا الرجل الذى اسمه ( شهاب أبو زكريا ) ، كان مغمى عليه إلى الفجر نريد الآن أن نفتح محضر ، مستعد ؟ .

- أمرك ياسعادة البيه ..

وفتحنا المحضر والحق أن وكيل النيابة كان رجلاً محترماً جداً ، وقد فهمت أن بعض أولاد التجار الذين حضرنا حفلهم بالأمس زملاء دراسة له ، وأن بعضهم أوصاه بي فكان ظريفاً جداً معي ، وحبسوني أربعة أيام ثم أربعة عشر يوماً وبدأت القضية ، والتجار أقاموا لي محامياً ، ولا تتصور الأكاذيب التي قالها حسنين الدمهوجي وشهاب أبو زكريا ، ولكن المحكمة كانت عادلة جداً معي وبعد تحقيق شهر ونصف الشهر تقريباً صدر الحكم بحبسي ثمانية أشهر ، كانت عقوبة خفيفة جداً ، وكانت معاملة الناس لي في السجن إنسانية جداً لأنني - كما تعرف - كنت مطيعاً جداً للحكومة ورجالها ، وكان عم منسى يزورني بانتظام ، وعرفت أنه أنشأ الدكان بالفعل وأنني أصبحت عطاراً ، وكانت الست جلييلة تزورني وتحضر لي الغداء إياه أحياناً ، وكان هذا يضايق أم عبد الحميد .

وفي ذات يوم ، وفي وقت الزيارة - أتاني عم منسى ، ومعه الست نفيسة ابنة أخت الست جلييلة ، وقال منسى : أنا لا دعوى لي بذلك ، هي التي أصرت على زيارتك ، كان من رأيي ألا تراك إلا خارج السجن ولكنها أصرت على زيارتك وقالت لي : أرجو ألا يضايقك ذلك .

قلت : ياخبر ياست ! كيف تضايقني زيارتك وهي شرف لي ؟ .

قالت : لقد أحضرت لك الغدوة التي تحبها .

قلت : ألف شكر ياست هانم ، إننى أريد أن أبطل هذه الأكلة ،  
فإننى أحبها فعلاً ولكنها تضر صحتى .

قالت : معلش ، اقبلها منى ، إننا كلنا نحبك لأنك تؤدب  
المجرمين .

قلت : ياست هانم ، ألا ترون منى إلا المتاعب ؟ .

- أى متاعب يامعلم وأنت زينة الحى كله ؟ .

وكنت فى أثناء ذلك أتأملها ، أعجبتنى وإن كانت سميئة بعض  
الشيء ، ويومها علمت أن خالتها الست جليلة تريد الطلاق منى ،  
لأن الزواج منى كان - كما قالت - لا يتفق مع طبيعتها ، وذكرت ذلك  
لنفيسة وقلت لها إننى مستعد للطلاق ، فأنا لا أريد مضايقة لأحد .

وكانت عطارتى تسير فى نجاح زاد على كل ماتوقعت ، وكان  
ابنى زيدان - بعد طلاقى من أمه قد كبر ومالت نفسى إلى أولاد جدد  
وكانت نفيسة فى الثامنة والعشرين من عمرها وكانت جميلة ولطيفة  
ومطبعة ، وكلمة حاضر على لسانها « وحاضر » كما تعرف تفتح  
البيوت .

- ست نفيسة ، هل تتزوجينى ؟ .

ففتحت عينها دهشة وظلت صامتة .

- ست نفيسة . أنت قمر . وقد أحبك قلبى أول مارأيتك ..

قالت : ولكن ماذا تفعل بخالتى !؟ .

قلت لك : إنها تريد الطلاق منى وسأطلقها .

فقلت : بعد أن تخرج من السجن .

قلت : لا ، هنا فى السجن سأتى بالمأذون والشهود ونتزوج بعد

الظهر اليوم .

قلت : أمرك .

وبالفعل حضر المأذون وطلقت خالتها وتزوجتها وأنا فى السجن

لا تتصور احتفال أهل السجن بزواجى ، لأننى كنت مؤدباً جداً

مع مدير السجن والعساكر .

وقال لى المدير : يامعلم خليل . إذا وعدتنى أن تعود غداً صباحاً

سمحت لك بأن تذهب إلى بيتك لتحتفل بزواجك مع امرأتك .

— لا داعى لذلك ياسعادة البية . إنها على أى حال زوجتى

وستذهب الآن إلى بيتى وستتولى تجارتى .

وكان أهل السجن فى غاية الظرف معى بعد ذلك . كانت مدة

السجن ثمانية أشهر ، ولكنهم أطلقوا سراحى بعد خمسة شهور .

خرجت حوالى الظهر فوجدت مظاهرة فى انتظارى . كل تجار الحى

كانوا هناك على رأس المظاهرة ، وكانت زوجتى نفيسة . ما أحلاها

معهم ، وكان معها عم منسى .

بعد المظاهرة والهيصة ذهبت إلى بيتى . كانت نفيسة قد أعدت

لى الغداء إياه ، فأكلت ونمت كالجاموس . بعد الظهر نهضت وذهبت

إلى محل العطارة . ماشاء الله كان عم منسى قد جعله أعظم عطارة  
في مصر .

في المحل أتانى يعقوب الزنط رئيس عصابتي كنت قد اخترته  
فقد أعجبتنى شجاعته فجعلته رئيس عصابتي . قلت إنه أتانى ،  
وأضيف الآن أنه كان ومعه أربعة رجال كالحيطان .. هؤلاء كانوا  
رجالي .

وقال لى يعقوب : يامعلم ، الولد محمود أبو راسين فتوة باب  
الخلق يريد أن يستولى على منطقتنا ، ورجال الصاغة يرجونك أن  
تكسر رجله ، وأرى أن نضربه الليلة .

- إننى أفكر في ترك الفتونة وكفاية على العطارة .

- غير ممكن ياسيد الفتوات . هذه غلبة فيها ألفان من  
الجنيهات جمعها لك الجواهرجية هم يريدون أن تكسر رقبتة لأنه  
رجل حرامى وجبار .

ألفان من الجنيهات !! .

هذه هي في يدك .

إذن نضربه ، أين سيكون هذه الليلة ؟

- ابنه سيتزوج الليلة ، ونحن سنذهب ونضربه في فرح ابنه .  
هذه ستكون العلقة اللي هي نحن رجالك وسترى منا العجب !  
الساعة التاسعة مساء سأتيك في بيتك ونذهب .

كان فرح ابن محمود أبو راسين في أحد شوارع حوش الشرقاوى المتفرع من تحت الربع .. ذهبنا وكنا سبعة رجال مثل فلولق النخل . وجدنا الفرح على رجل ، والمدعون كانوا أكثر من ألف شخص ، والراقصات يرقصن والدنيا مقلوبة .. وكان المعلم محمود وسط هذه الهيصة كأنه ملك وقد لبس قفطاناً صوفياً عظيماً وعمامة ضخمة جداً . وكان جالساً وسط الناس . حقا لقد كان لصاً بشعاً ، وكان غنياً جداً . ولكنه كان رجلاً محترم الهيئة ، وكانت في أيدينا النبابت ، دخلت ومن خلفى رجالى . لا يدرى أحد ماذا كان يصيبنى لأننى كنت أنسى نفسى في مثل هذه المناسبات وأتحول إلى وحش . ذهبت إلى المعلم محمود ووقفت أمامه وقلت : أنت الواد الحرامى ؟.

وذهل الرجل ونهض وهو يقول : ماذا تقول ياواد ياابن القرعة .. اضربوه يارجاله . ودارت المعركة ، وانتصرنا ، ولكنى جرحت جرحاً شديداً في فخذى .

وذهبنا إلى القسم وأنا أتوكأ على يعقوب .. وهناك أنكرنا كل شىء ، وتصور أن انسانا واحداً لم يجرؤ على الشهادة .

أصبحت إذن بطلاً قومياً . ولكنى بدأت أحس أن عمل الفتوة ليس بالعمل الشريف . فإن الفتوة طوال الوقت يضرب الناس ويسرق وينهب ويأخذ النقود دون عمل . ومما يدلك على حقارة هذه المهنة أنه في ذات يوم أتتني امرأة معلمة ، يبدو من شكلها أنها

مجرمة قليلة الحياء ، وأخرجت من صدرها مبلغاً من النقود  
وناولتني إياه وقالت : هذه خمسمائة جنيهه لك .

- ولماذا تعطيني إياها ؟ .

- لكي تضرب زوجي علقه لا يصحو منها .

- ولماذا أضربه إن شاء الله ؟ .

- لأنه رجل مجرم وشّراني ولا يمر يوم إلا ويضربني علقه .

- أنا لا أضرب أفراداً .. ومع ذلك فدعيني أراه .. كيف أراه ؟ .

- تأتيني إلى بيتي هذه الليلة وسأمر الخدم بأن يفتحوا لك  
الباب فتدخل وترى كيف يضربني هذا المجرم ؟ .

وفي منتصف الليل ذهبت مع واحد من رجالى يسمى رجب  
الفنجري ودخلنا ، وأشعرنا الست بدخولنا وهنا بدأت تتشاجر مع  
زوجها ، والمسكين كان « غلباناً » جداً أمامها وهي كالوحش الكاسر  
ولسانها كله سم . وتعجبت وقلت لها : إيه ده يانصابة ؟ هل هذا هو  
الرجل القاسى الذى قلت لى إنه يضربك كل ليلة ؟ وأنت كما أرى  
أكبر بلطجية فى البلد .. وإذا كان هناك إنسان يستحق الضرب فهو  
أنت ! .

ثم ناديت رجب .. وقلت له خذ هذه البلطجية قلمين ، وضربها  
قلمين ووقعت على الأرض .

وقلت لها : اسمعى ياست والله لو سمعنا أنك فعلت شيئاً

بزوجك هذا فسنعود إليك ونقصف رقبتك !.

وقال الزوج المسكين :أنا أقول لك يامعلم : هذه المرأة تحب رجلاً آخر وتريد أن تتزوجه ، وهى لذلك تريد أن تتخلص منى مع أن المال كله مالى وهذا البيت بيتى .

- وما الذى يرغمك على العيش معها ؟.

- إنها كما ترى شرانية وأنا أخاف على نفسى منها .

- لأنك رجل جبان ..

- أنا جبان ؟.

- نعم .. أنت جبان .طلقها الآن ونحن نأخذها ونخرجها من البيت .. وسيقيم معك هنا رجب الفنجري هذا ولن تجرؤ المرأة على دخول البيت عليك ، وطلقها الرجل وأخذناها مع ملابسها وأخرجناها من البيت وحذرناها من العودة .

وبعد أيام مر بى عم منسى العطار ، وقال :

شوف يامعلم . إن تجارتنا تخسر .

- ليه ؟ لا سمح الله ؟.

- لأن الناس تخشى أن تشتري من محل فتوة ويخافون أن يختلفوا معك فتضربهم !.

- أضربهم ؟ وهل أنا بلطجى ؟.

- هذا مايقوله الناس . وقد أرضيت ضميري وصارحتك  
بالحقيقة .

- والحل ؟ .

- الأمر أمرك ، ولكنى إذا كنت منك تركت الفتونة ، فهى ليست  
عملاً محترماً ، ثم إن العطارة كنز ونحن نستطيع أن نكسب منها  
الذهب .

وفكرت قليلاً وقلت : تعرف أن عندك حق يامنسى : إننى  
لا أفعل شيئاً إلا العدوان على الناس وأخذ أموالهم دون عمل ، ثم إن  
المرض اشتد على ولابد أن أستريح .

قال منسى : أنا أيضاً أقول ذلك ، ولابد أن تترك الغدوة المهيبة  
إياها لكى يستريح كبدك .

- أنا أفعل ذلك إن شاء الله .

وقالت نفيسة - لا ، أنت لا تستمر فى الأكلة إياها ، أنت تأكل  
المسلوق فقط ، لا بد أن تتوقف عن ذلك . لقد كبر ولدك محمد  
وسليمان ولابد أن تعيش لتربيهما ، وأنت إذا سرت على أكل هذا  
السم فإنك لن تعيش ، وقد نبهك الأطباء إلى ذلك .

- ولكن يانفيسة إن الفتونة تأتينا بآلاف الجنيهات .

- كلها فلوس حرام ، ثم إنك أنت لاتسأل نفسك : كم مرة دخلت  
السجن ؟ .

- أنت على حق . سأنظر في ترك هذه الشغلانة الشؤم وأتفرغ  
للعطارة ، ثم إن جنبى يؤلمنى الآن جداً ، بل إنى أحس بوجع فى  
رجلى .

قالت نفيسة — لاحظت ذلك . أنت رجل مريض وأنا أخاف  
عليك .

— عندك حق . وسأنظر كيف أتخلص من الفتونة وأتفرغ  
للعطارة لكى أتمتع بعائلتى وأولادى .

وبعد أيام قلت لرجب الفنجرى : شوف يارجب . أنا أريد أن  
أترك هذه المهنة .

فقال : مش ممكن يامعلم .

- إزاي مش ممكن ؟ .

- من غيرك تصبح الفتونة مستحيلة !

— ولكنى أريد أن أترك هذه المهنة لأننى مريض ولم أعد  
أستطيع الاستمرار فى ذلك العمل الخطير .

- إذن تفكر فى ذلك بعد العملية التى سأعرضها عليك .

- وماهى ؟ .

- شوف يامعلم . فيه واحد أرمنى صاحب بنك . كل فلوسه من  
الربا الفاحش .. إنه يسلف الفلوس بسعر ٢٠ و ٢٥ فى المائة . ونحن

نريد أن نهجم على ذلك البنك ونأخذ كل فلوسه .

- إذن فهذه شغلانة سرقة يارجب يافنجرى ؟

- هذه لا ، لأن هذا الرجل مراب شرير ، وفلوسه حلال لنا ..

- ولكنها سرقة يارجب يافنجرى ، وأنا زهقت من السرقة .

- بعد هذه العملية ! هذا المرابي اللعين لديه على الأقل مليون

جنيه ونحن نضربه الضربه اللى هى ، ثم بعد ذلك نترك الفتونة كلنا  
لأننا سنصبح أغنياء .

وعندما سمعت لفظ المليون دار رأسى ، ولم أكن أعلم ماهو

المليون ، ولكنى كنت أعرف أنه شىء كبير جداً ، وكنت أعرف فعلاً

أن هذا البنك يقوم على المراباة البشعة ، وأن صاحبه - واسمه شىء

مثل قفطان بن برطمان - رجل لعين يأخذ من الناس أرباحاً تصل

إلى ٢٥ أو ٣٠ فى المائة ، وكان ينهب الفلاحين المساكين الذين

لا يعرفون كيف يميزون الألف من كوز الذرة ، هؤلاء كان يقرضهم

مئات من الجنيهات وينتهى الأمر بمصادرة أملاكهم وبيع

مواشيهم وطردهم من الأرض .

وقلت لنفسى : هذا لعين بالفعل ، وسرقة اللعين ليست سرقة .

ووافقت على أن نقوم بالعملية . كنت مشتاقاً إلى أن يكون عندى

مليون جنيه . قالوا لى إن مليون جنيه تملأ عربة قطار .

واستعددت لهذه الضربة كما لم أستعد لضربة أخرى ، بل

ذهبت بنفسى إلى هذا البنك فى ميدان الأوبرا ، وصعدت السلم وعايנת كل شىء ، وكنت أنا ورجالى قد تعلمنا استخدام الأسلحة النارية التى غنمناها من الإنجليز فى ضربة الشقة ، وكان قد مهر فى استعمال السلاح رجب الفنجرى كان يحسن استعمال المسدس الأتوماتيكى ، ويعقوب الزنط كان يتقن استعمال البندقية الرشاشة وكنت أعرف أن البنك فيه خزائن حديدية فرتبت أن يكون معنا أمره رجل فى مصر فى فتح الخزائن .

وذهبت فى اليوم المحدد بعد منتصف الليل . كنا ثمانية . الفرقة كلها ومعنا المتخصص فى فتح الخزائن . كنا جميعا مسلحين ، وأنا كان معى مسدس رشاش يطلق سبع رصاصات متوالية .

ووقف رجب الفنجرى ومسدسه فى يده على باب البنك مستعد للإطلاق إذا حدث أمر . ووقف يعقوب الزنط بالبندقية الرشاشة على السلم وهى ملاءى بالذخيرة ويده على الزناد .

واقترحنا باب البنك . كان البنك شقتين : هما الدوران الثالث والرابع من عمارة فى ميدان الأوبرا لم أكن أعلم أن الرجل — قفطان ابن برطمان — ينام فى البنك ومعه حرس . لم نكد ندخل حتى اعترضنا — ودون إحساس منى أطلقت الرصاص عليه وقتلته ، تلك كانت الجريمة الوحيدة التى ارتكبتها فى حياتى : قتلت مرابياً لعيناً مجرمًا . كان معه حارسان قتلهما رجالى . من العجب أن أحداً فى الشارع أو البيوت المجاورة لم يتنبه . دخلنا وفتحنا الخزائن وعبأنا

المال في ثلاثة جوانات كانت معنا ، وفي هذه الاثناء قتلنا حارساً ثالثاً وأصبح عدد القتلى أربعة ، حادث فظيع ، أما نحن فلم يصب أحد منا بسوء ، ونزلنا وركبنا سيارتي ، وكانت تنتظرني ، وذهبنا إلى قرب بيتي ، هناك أعطيت الرجل المتخصص في فتح الخزائن ألف جنيه ومضى لحاله ، اتفقت مع رجالي على أن أذهب بالجوانات إلى بيتي وأن أخبئها من البوليس واتفقنا على الا نتلاقى لمدة أسبوع ، بعد أسبوع نتلاقى لياخذ كل منا نصيبه .

وكنت قد حفرت في حديقة البيت حفرة واسعة ألقينا فيها الأجوالة وغطيناها بالتراب حتى لايعرف مكانها أحد ، وبالفعل لم يكتشفها أحد ، ودخلت بيتي كنت في غاية التعب والاضطراب ، كانت نفيسه نائمة أما التي كانت متيقظة تنتظرني فكانت أم عبد الحميد ، هذه المرأة المخلصة التي ماأظن أن امرأة أحببتني في حياتي مثلها ، أخذتني وغيرت لي ملابسى ، وكانت عليها دماء كثيرة ألبستنى ملابس أخرى نظيفة ورافقتنى إلى الفراش في غرفة غير غرفة نفيسة ونمت وغطتني وأخذت الملابس التي عليها الدماء لكي تغسلها . كان هناك أيضاً جمعة ، هذا الرجل المخلص الذى كان مستعداً لأن يبيع عمره في سبيلى ، نام على باب الغرفة يحرسنى ، ومازال إلى يومنا هذا ينام على بابى يحرسنى ، وجدت أم عبد الحميد أن أحسن ماتفعله بالملابس الملوثة بالدماء هو أن تحرقها فأحرقتها .

والجريمة روعت القاهرة بل مصر كلها ، ومع أننا كنا بعيدين عن كل شبهة إلا أن البوليس شك في وأتى إلى بيتى فوجدنى مريضاً وكنت مريضاً بالفعل ، وانصرف دون نتيجة ، ولكنهم عادوا لأنهم كانوا مصريين على أن يجدوا النقود ، لأن عددا كبيرا من الضباط والجنود الإنجليز كانوا يطمعون فى شىء من مال الرجل ، ولكن أحداً لم يجد شيئاً ، ثم إننى كنت مريضاً بالفعل فتركونى ، وبعد أسبوعين قسمت المال على الرجال ، فأعطيت كلا منهم ألفى جنيه وبقي عندى نحو خمسة آلاف جنيه ففرشت البيت واحتفظت بالباقى وكان هناك الكثيرون المتهمون فى القضية لأنهم كانوا يحلمون بنصيب من أموال الأرمنى وعرفنا نحن كيف نضلهم . كانوا يزوروننى كل يوم ويبحثون ويفتشون دون فائدة وأنا كنت مريضاً فى السرير ، وبعد أن أتو نحو عشر مرات توقفوا عن المجيء وبعد عشرة أيام من الهدوء نزلت فى عز النهار وحفرت وأخذت الجوات وأعطيتها لرجب الفنجري ليذهب بها إلى مقبرة كنا ندفن فيها أشياءنا .. كانت مقبرة فاخرة بناها إسماعيل باشا لإحدى جواريه ، وكلها رخام ملون وهى إذا دخلتها وجدت نفسك فى صالون . وكان رجب الفنجري ينام فيها معظم لياليه .

بعد أيام مر بى فى البيت رجل كبير الشارب يلبس بذلة أنيقة وقال لى : بلغنا أنك رفضت التجسس للإنجليز .

- ومن أنت أولاً ؟ -

- أنا أعمل مع محمود بك فهمى النقراشى .

- الزعيم الوفدى ؟ .

- نعم ، وقد سرنا مابلغنا من أنك رفضت التجسس للإنجليز .

- طبعاً ، وهل هناك رجل محترم يتجسس للإنجليز ؟ .

ألا تزال طبعاً ونحن الآن نريد أن نقدم لك أى خدمة تريد . أنت فتوة المناصرة وشارع الأزهر .

- أجل ، ولكنى فى حاجة إلى طبيب . عندى داء الفيل وقد رفض الإنجليز علاجى عندما رفضت التجسس على الشباب المصرى .

- عندنا أطباء محترمون جداً ، ونحن لن نكتفى بعلاجك بل إن النقراشى بك يريد أن يراك .

- أنا فى خدمته .

- غداً صباحاً أمر عليك هنا وأخذك إلى النقراشى .

- وإلى الطبيب .

- وإلى الطبيب طبعاً .

وفى اليوم التالى أتى هذا الرجل وأخذنى فى سيارة إلى بيت النقراشى ، كان رجلاً محترماً جداً وجدتُ عنده أخبار كل شىء ، وقال لى : إن الإنجليز يخافوننى لأننى فتوة شجاع ، وأنهم يريدون كسبى إلى جانبهم .

وحكى له حكاية الضابط اليونانى فتكلم بالتليفون وقال لى :  
ستذهب الآن إلى قصر العينى وستقابل الدكتور القلى ، إنه من  
أعظم الأطباء فى مصر وسيعالجك ، وبالفعل بذل الدكتور مجهوداً  
لعلاجى ، وتحسنت صحتى وذهبت بعد ذلك إلى النقراشى فقال لى  
ما علاقتك بالإنجليز؟ .

قلت : لا علاقة لى بهم ، إنهم كلاب يحتلون بلدنا .

قال : أرجو أن تكون صادقاً ، والآن ستذهب مع أحد مساعدى  
لكى تدخل الوفد ، وتكون من رجال مصر الوطنيين ، وذهبت مع  
الرجل إلى غرفة فى بيت الأمة .

وقال الرجل : الآن أنت وفدى ، ومن الآن أنت ستكون خادم  
النحاس باشا .

قلت : لا ، أنا خادم رئيس الوفد وخليفة سعد أياً كان .

كانت فرقة من جنود الإنجليز على رأسهم ضابط كبير يقال :  
إنه كان لفتنانة جنرال فى طريقهم من العتبة إلى القلعة وفى مقدمتهم  
رئيسهم على ظهر حصان ، وعندما مروا بمحل فول انفتحت نفوس  
الجنود فقالوا لرئيسهم : نريد أن نأكل .

- كلوا ماتريدون .

والمترجم الشامى معهم قال لصاحب المحل : الرجال يريدون أن  
يأكلوا يامعلم .

- وراح يدفعوا إن شاء الله .

- وماذا يحدث إذا لم يدفعوا ؟

- لن يأكلوا !..

وسأل الضابط الكبير عما قيل ، عرف أن صاحب محل الفول

قال إنهم إذا لم يدفعوا لن يأكلوا .

فقال في كبرياء : إذن فسيأكلون ولن يدفعوا فأرونا شطارتكم .

وهجم الجنود يأكلون والضابط يتفرج ، وأتوه بسندوتش

فاكل وقال : كويس أعطوني سندويتشاً آخر ! وأتوه بسندوتش

آخر ، كل ذلك والمركة دائرة بين صاحب محل الفول ورجاله ،

والضرب كان عنيفاً ، لأن الإنجليز كانوا يضربون برأس البندقية ،

وصاحب المحل وقع على الأرض وانبطح معظم العمال وجرحوا .

وكان أمام المحل محل نجارة ، وكان صاحب المحل غائباً ، ولكن

ابنه واسمه رشاد شاهين وشهرته رشاد القباقيبي في المحل ، فثارت

ثورته وأخذ قطعة خشب وانضم إليه نحو عشرة أصدقاء وعمال

وانقضوا على الضابط ، وضربه رشاد بالعصا ، واجتذبه من على

الحصان وألقاه على الأرض وضربه ، وبقيّة رجال رشاد هجموا على

الجنود الإنجليز كالبرق ، وضربوهم بالخشب ورشاد قال

لا تخافوا ، الضابط تحت يدي وسنخلع عنه ملبسه ونكتفه

ونربطه بذيل الحصان ! وفعلوا ذلك به وبسعة من الجنود ، أما

الباقون فقد فروا بعد أن ألقوا بندقياتهم ، وسار الحصان يجر الضابط إلى القلعة .

أخذ رشاد القباقيبى الملابس والسلاح ، وعاد إلى محل النجارة ، فأخرجوا ما وجدوه من جيوب العساكر ، وأحرقوا الملابس والقبعات ، وجرى العساكر بملابسهم الداخلية نحو القلعة ، وعندما وجدوا ضابطهم مربوطاً في ذيل الحصان فكوه والتفوا به حلقة ، وساروا نحو القلعة ، و الحادثة أدهشت المصريين فخرجوا في أفراح وموسيقى ورقص وغناء وظلوا على ذلك إلى الفجر .

واشتهرت بطولة القباقيبى ورجاله في مصر كلها ، لم تنشر الصحف شيئاً ، ولكن الناس في مصر كلها عرفوا أن القباقيبى ضرب الإنجليز علقه ساخنة ورجاله بهدلوا الجنرال الإنجليزى ، وبعض الناس قالوا : إنه الوفد ، ولكن الوفد نشر بياناً قال فيه : إنه لا علاقة له بحادثة القباقيبى ، لأنهم حزب سياسى لا يرتكب جرائم ، وقد ساءنى هذا الإعلان جداً .

فقلت للنقراشى بك : لماذا تقولون ذلك يا باشا؟ .

قال : أنت لا تعرف الإنجليز ، إنهم في غاية الوقاحة ، ومن الممكن أن يحبسونا كلنا .

قلت : وإيه يعنى ، يحبسونكم وتتكون هيئة وفدية جديدة .

قال : خليك في شغلك يامعلم جوهرى وسيب السياسة لنا .

وزعلت أكثر ، ولكنى تركته غاضباً وأنا أقول : هؤلاء الإنجليز

أعداء ولا بد أن نحاربهم ، لماذا نخاف منهم ؟ نحن لا يمكن أن ننتصر إذا كنا نخاف .

وذهبت بنفسى إلى دكان القباقيبى فقالوا لى إنه يتمرن على السلاح فى وادى الحمار فى حلوان ، فذهبت إليه فوجدت نفسى أمام شاب شهيم جميل الصورة يرتدى جلباباً ، ويلف وسطه بحزام فيه الرصاص ، وهو يتمرن على الرمى بالرصاص ، وأعجبنى جداً وتغديت معه وقلت له : حاسبوا على أنفسكم من الإنجليز يارشاد إنهم قساة غلاظ الأكباد .

قال : ولا يهكم ، نحن أيضاً رجال وجنود ، وإن شاء الله سننتصر عليهم .

فقلت له : خذ هذه ألفا جنييه ، وإذا أردت أكثر أعطيناك وعندنا سلاح .

قال : فعلاً نحن فى حاجة إلى الفلوس فنحن لا نعمل ، ولكن من أنت ؟!!!!

- أنا خليل الجوهري .

فصاح فرحاً : فتوة شارع محمد على ؟

- وخادم مصر أيضاً ..

فقال : كنت واثقاً من أنك معى ، الحقيقة أن الإنجليز الذين فى مصر أنذال ولكن جبئنا يطمعهم فينا ، تصور أننى ضربت الجنرال

بيدي هاتين ، وخلعت ملابسه فلم يبق إلا الفانلة واللباس وربطته في ذيل حصانه وركبته الحصان فسار به نحو القلعة .

قلت : كل مصر تعرف الحكاية ، وأنت الآن بطل مصرى ، وأنا أتيت لأنضم إليك ، لأن الفتوة يجب أن يكون مع أبطال بلاده .  
- أهلاً وسهلاً .

- وأريد أن أقول لك : إن الإنجليز لن ينسوا ما فعلتموه معهم .  
- فعلاً ولهذا فنحن نتمرن على الرصاص لكى نلقاهم ، وقد سمعنا أنهم سيهاجموننا بمدفع ، وإن شاء الله سنخطف المدفع منهم ونضربهم به .

- أنا يارشاد هو الذى سيخطف المدفع ، ومن الآن سأبحث عن مدفع أتمرن عليه .

- اسمع ، فى المحافظة مدفع ، إنه فى الداخلى فى الحوش .

- بس سيبنى أنا أخطفه ، أنا سأخطفه مع العسكرى بتاعه لكى يبقى معنا ، ويضرب المدفع أو أنا أتعلم منه إذا لم تكن لديه الشهامة الكافية .

- يعنى نسيب لك حكاية المدفع ؟ .

- أيوه ، وهناك مسألة أخرى تسيبها لى : موعد المعركة ، أنا لى جواسيس عندهم وسأعرف التاريخ وأبلغك ، والآن أتركك يارشاد لكى تستفيد من الوقت فى التدريب .

قال تتعشى معى الليلة لكى نرسم الخطه .

- حاضر ، بسن فين .

- اسمع سأترك معك رجلاً من رجالى الأمناء سيعرف مكان

العشاء ويأتى لياخذنى .

- طيب مع السلامة - وعاد إلى التمرين .

وكان من رجالى شاب يسمى عطا عبد العال ، كان جاسوساً ممتازاً ، وفى حياتى لم أكلفه بعمل إلا قام به على أحسن وجه . وكنت أعطيه راتباً شهرياً قدره عشرة جنيهات ، وعشرة جنيهات عن كل مهمة يقوم بها ، فنسأله وقلت له : فيه مهمة كبيرة وأنا خايف أكلفك بها .

فقال عطا عبد العال : عيب يامعلم - عطا يحقق لك المستحيل -

أنت مرة كلفتنى بحاجة وأنا لم أقم بها ؟ .

- لا والحق يقال .

- إذن هات ما عندك .

- نقرأ الفاتحة يا عطا - وقرأناها .

قلت : شوف يا عطا فى المحافظة مدفع فى الحوش .

قال : كويس وبعدين .

- المدفع ده له صول مصرى اسمه رجب عبد السلام عاوزك

تجيبو لى .

- من عيني دى وعيني دى .. عايزه امتى ( ومتى تريده ؟؟ )
- النهاردة التلات ، عاوزه الخميس بعد الظهر .
- إن شاء الله يكون عندك ، وأظن أن الأحسن أنى أجيبوك فى محل العطاره .
- كويس ، رأيك كويس !.
- حاضر يامعلم ، بس لى رجا !!.
- قول ياعطا !!.
- أخويا يتزوج الليلة ، وعاوز أجيب له هدية بحاجة زى عشرة جنيه .
- حاضر ياعطا . عشرة جنيه منك وعشرة منى .
- الله يخليك يامعلم جوهرى ، الله يخليك .
- هذه هى العشرون جنيهاً يا عطا ، وحتى نهار الخميس الساعة أربعة فى محل العطاره .
- ويوم الخميس الساعة ٤ كان عطا عندى فى محل العطاره ومعه حسن رجب ، ودخلنا فى ركن وطلبت شايأ وأشرت إلى عم منسى أن بيتعد عنا وقلت لرجب عبد السلام : أنت صول مدفع المحافظة ؟ .
- فسكت فقلت له : اتكلم يا حسن . انت بطل وبتكلم بطل .

- بس ده سر يامعلم .
- وأنت ستقوله لى ويظل سرًا .
- أرجوك يامعلم .
- لاتخف .
- إذن فأننا صول المدفع ، ولا أحد يعرف ذلك .
- إذن فاسمع كلامى ولتعرف أنه سر ، فإذا أعجبك نفذته ، وإذا لم يعجبك سأعطيك عشرين جنياً ، وتنصرف ولا أحد يدري ، أما إذا أفضيت السر فلا عقاب لك عندى إلا السلخ وتركك تموت حياً .
- أعوذ بالله يامعلم .
- مستعد تمشى ويانا .
- على بركة الله ولاتخف منى أبداً .
- قوللى ياحسن .. ما يوم إجازتك ؟ .
- يوم الجمعة زى كل الموظفين .
- إذن أصارك أننا نريد خطف المدفع يوم إجازتك .
- وماذا ستفعلون به ؟ .
- أقول لك الحق ، سنحارب به الإنجليز .
- ففكر الرجل قليلاً ثم قال : لا بقى ، إذا كنتم ستحاربون الإنجليز فأننا معكم ، هؤلاء ظلمة وجبارون وأعداء لمصر والإسلام .

- شوف يا حسن لا نريد أن تعرض نفسك للخطر .

- ليه ، وهل أنا أقل منكم .

- لا ، لاسمح الله ، بس يعنى من باب الاحتياط .

- لا تخف أبداً ومعك رجل مصرى وطنى .

- مادمت أنت كذلك ، فإذا جرى لك شىء ستجد حرمك ألف

جنيه تعويضاً عند عطا ، أنا سأعطى النقود لعطا ، وأنت تقول

لامراتك : إنك مدخر ألف جنيه عند عطا ، وعطا يذهب ويعطيها

الألف جنيه .

- إذن على بركة الله .

- ومن رئيسك ؟

- خواجاً أرمنى عامل إنجليزى .

فنظرت إلى عطا وقلت : يبقى ده الضابط الأرمنى بتاعنا .

- لا يامعلم ، ده واحد تانى .

- زى بعضه ، ماهو يوم إجازته ؟

- يوم الأحد .

قلت : إذن نهار الأحد الجاى سيدخل جماعة من رجالى

المحافظة فى ملابس مجرمين ، سيمكثون مقيدين ولكنهم يعرفون

كيف يفكون أنفسهم ، وسيحبسونهم فى حوش المحافظة قريباً من

المدفع .

- كويس .

قلت : وابتداء من الساعة الثالثة سننتظر حتى تأتي لحظة ينام فيها الحراس ، رجالى سيقبضون على الضابط الأرمنى ، وحرس أبواب المحافظة ويجرون المدفع .

- أنا أمشيه .

- كويس ، وناخذ المدفع إلى خارج المحافظة ، وسيكون هناك كاميون بمطلع خشب منحدر نجر المدفع إلى أعلى الكاميون ، وقبل أن يتنبه رجال المحافظة يكون الكاميون قد اختفى .  
سنخفيه فى مكان سنعدّه .

- وأنا معك .

- كويس ، من ذلك اليوم يصبح راتبك منى ثلاثين جنيها فى الشهر ، عطا سيذهب بها إلى زوجتك .  
بس دول كثير يامعلم .

- ولايهكم ، خير ربنا كثير .

- على بركة الله ، اليوم الخميس ، وعملية الخطف ستكون يوم الأحد ، بس أهم حاجة السرية التامة ، ولا همسة ، وإذا بلغك شىء تبلىغنى إياه .

- حاضر .

- خذ هذه خمسون جنيها لكي تشتري مئونة لبيتك .

- مفيش لزوم يامعلم .

- مش قلت لك ولا كلمة .

ويوم الأحد تمت العملية ، كنا ١٢ رجلاً ، منا الستة الذين كانوا مساجين ، وحسن عبد السلام طلع أسد ، وعطا راح إلى امرأة حسن عبد السلام وأعطاهما ٣٠ جنيهاً وقال لها : إن زوجها سافر إلى الإسكندرية في مهمة ، وطلب إليها أن يكون الأمر سراً ، ولا كلمة لأحد ، حتى أخواتها وأولادها لن يعلموا شيئاً .

والمدفع أخذناه للقرافة التي كان ينام فيها الزنط ، وحسن عبد السلام كان قد سرق معنا كل ذخيرة المدفع ، نحو ١٠٠٠ قنبلة وبعد أسبوع وفي منتصف الليل أخذنا المدفع إلى مكان بعيد في الصحراء ووضعناه في خيمة وینام معه فيها حسن عبد السلام ، وتعلمت منه ضرب المدافع ومعى يعقوب الزنط .

كنا نعرف أن الإنجليز لن يلبثوا أن ينتقموا من رشاد القباقبيى فرسمنا الخطة ، وأنا رقيت رشاد إلى درجة صاغ وطنى ، واتفقنا على أن يكون ضربنا من أسطح البيوت : واحد يضرب من ناحية والثانى بعدها من ناحية ، خمس نواح ، والمدفع كنا هربناه إلى عطفة فى شارع محمد على فى عربة ، وغطيناه بالبطاطس من كل ناحية . وتصور أن الإنجليز هجموا بعدها بأسبوع . كان غرضهم قتل رشاد القباقبيى ، وإحراق بيته ولكن الصاغ رشاد كان أسداً ، قاد

المعركة وأنا معه ببسالة نادرة .

وقال القائد الإنجليزي عندما وجد أن الضرب من كل ناحية هؤلاء يبدو أنهم جيش !، فعلا هؤلاء جيش ، ولكننا نذهب أولاً لقتل القباقيبى .

وطبعاً لم يجدوه في بيته فقتلوا زوجته وابنه وأشعلوا النار في البيت ، ولكن مدفعنا اشتغل وقنابله ضربت الإنجليزي ، وفي أول ضربتين قتلنا قائد الحملة الإنجليزي ، ومساعدته وضرب مدفعهم أيضاً ، والناس جمعوا حجارة وصاروا يضربون الإنجليزي ، والإنجليز انهزموا واتجهوا إلى القلعة ونحن وراءهم بالرصاص ، ومدفعنا قتل نحو عشرة منهم ، وخرج رشاد من مخبئه وقاد الهجوم نحو القلعة ، ولكن رصاصه أصابته ووقع على الأرض أمامى وأخذناه إلى أجزاخانة فوجدنا أنه مات ، فرقيته لواء .

وكسبنا المعركة ، وأخذنا ٢٥ إنجليزياً أسرى والباقي هربوا إلى القلعة ، وقد استولينا على مدفعهم ، وحملناه هو الآخر على كاميون ومضى الكاميون إلى مخبأ مدفعنا في الصحراء .

ومصر كلها ذهلت لنصرنا على الإنجليزي ، والكل كانوا يدعون لرشاد القباقيبى الذى انتصر على الإنجليزي واستشهد في سبيل مصر ويهتفون باسمه .

والجرائد لم تنشر الخبر ، ولكن الناس طبعوه في كتيب صغير ، وصاروا يبيعون منه بالآلاف ومن حسن الحظ أنهم لم يذكرونى ،

والمعركة ظلت معركة رشاد القباقيبي ، ويوم جنازته سارت القاهرة كلها في الجنازة ، والتهتاف له ولمصر بلغ السماء ، والإنجليز رأوا أن يتركوها كيلا تصبح ثورة في مصر كلها ، كانت نيتهم أن يجمعوا معلومات بالجاسوسية قبل أن يهاجموا رجال حركة رشاد القباقيبي .

ونحن لم يمسننا أحد ، ولم يعرف الإنجليز نصيبي في الحركة ولم يعلموا شيئاً عن رجب عبد السلام فلم يمسه أحد ، وأراد أن يعيد إلى الألف جنيه ، فقلت له : اصرفها على أولادك ، ولا تتصل بي من الآن .

- ولكن أريد أن أكون بطلاً مثل رشاد القباقيبي .

- أنت فعلاً بطل مثل رشاد ، وإذا احتجت إلى مال فعندك عطا تستطيع أن تقول له وهو يبلغني وقررت الاستمرار في العمل الوطني .

وقابلت سعد زغلول باشا فوجدته يبكي على رشاد ويقول :  
شعب أبطال ! ياخسارة ياناس ! هذا بطل كبير عليه ألف رحمه من الله ! .

وأتاني بعد أيام رجل أرمنى وقال اسمع يامعلم خليل ، لماذا لا تترك الإنجليز ؟ .

قلت : أنا لا أعرف الإنجليز .

فقال : أنا رجل أرمنى ونحن لا نخشى الإنجليز بتوعك ، ونريد منكم أن تبتعدوا عنا .

- نحن ناس وطنيون ولن يهدأ لنا بال إلا إذا أخرجنا الإنجليز من بلدنا كما يقول سعد باشا .

قال الرجل : الإنجليز لا يعرفون شيئاً مما أفعل ، أنا أتصرف هكذا لأن الحركة الوطنية التى تسيرون فيها هنا لا تعجبني .

— ياسبحان الله ! أرمنى نجس لا تعجبه الحركة الوطنية فى مصر ؟. لابد أن نضربك علقه ساخنة حتى لا تعود إلى قلة الأدب مرة أخرى !.

ومن فضائل يعقوب الزنط أنه لا يتأخر فى تنفيذ ما أمره به ، ولهذا فقد ضرب الضابط الأرمنى علقه ساخنة فعلاً ، ولم يتركه حتى قال : دعونى وأنا أبتعد عنكم تماماً ! وتركناه .

وكنت أعرف أن محمود أبو راسين ورجاله يخافون من ذلك الأرمنى ، وبعد أيام مررت على محمود ( أبو راسين ) فى قهوته ، وكان معى بعض رجالى ، فجلست وقلت له : الآن يا محمود لابد أن تترك الفتونة .

- أتركها . وكيف ؟ ولم ؟ .

- لأنك جبان ، لقد أخافك هلفوت أرمنى ، وقد رأيت ما فعلناه به لأننا لا نعرف الخوف . أما أنت .

قال : هذا لن يتكرر .. المرة القادمة .

فقاطعته قائلاً :

لا توجد هناك مرة أخرى .. أنت رجل جبان ، والجبان لا يمكن أن يكون فتوة .

قال : ما هذا يامعلم خليل .. ؟ أنت تتحكم فينا ؟ .

- أجل ، وكل أهل الحى لا يريدونك فى الفتوة .

- وإذا لم أتركها ؟ .

- بل ستتركها ، أنت تعرف ماذا نفعل بأمثالك .

وقال له رجل من أتباعه كبير الرأس جداً : الحق يامعلم محمود .. بعد الذى بلغنا ..

فقاطعه محمود أبو راسين قائلاً : إذن أنتم متآمرون مع الجوهري ..

- لا يامعلم محمود ، دى أصول .

- إذن فأنتم لن تتركوننى ؟ .

- لا بد أن تعود كما كنت : مبيض نحاس .

- ياسلام ؟ وتحددون لى مصيرى ؟ .

- نعم ، ونحدد لك مصيرك - قلت له سمعت يامحمود !! .

وبعد لحظة صمت قال : أترك الفتونة .

قال يعقوب : ورجالك ينضمون إلينا .

وقال الرجل كبير الرأس : وقد عرفت فيما بعد أن اسمه على  
الحجاوى : هذا يسعدنا ! كلنا نريد أن نعمل مع المعلم خليل أسد  
الفتوات !.

وعدت إلى بيتى وأنا أردد فى نفسى : أسد الفتوات ؟ هؤلاء الناس  
الطيبون لا يعرفون ماذا فى رجلي ؟ ، لقد قال لى الطبيب لا علاقة  
لهذا المرض بالأكل ، ولكننى أظن أنه لابد مخطيء ، فقد تحسنت  
كثيراً عندما توقفت عن الأكلة إياها ، أجل تحسنت ولكن حالة رجلي  
اليسرى تسوء ، وأشعر أحياناً بألم شديد ، وربنا يسلم !.

\*\*\*

وبعد أيام زارنى فى البيت رجل يسمى البنان ، إنه من أغنى  
رجال الحى ، وقد سمعت أنه يريد أن يرشح نفسه لمجلس النواب ،  
وقال لى : سمعت أنك تريد ترشيح نفسك للبرلمان ، وأحب أن أقول  
لك : إن هذه لو كانت نيتك فأنا شخصياً مستعد لرفع اسمى من  
بين مرشحي الوفد للمجلس عن حى الجمالية .

- لا ياسيدى العزيز أنا بعيد جداً عن العمل السياسى ، ولو  
أننى شخصياً وفدى .

- سمعت ذلك من النقراشى بك ، وهو يعتقد أن عصر الفتوات

قد انتهى وحل محله عصر النواب ، نحن الآن في معركة سياسية مع الإنجليز ، والفتونة لا تخيف الإنجليز ، ولو أننا نعرف أنك أنت بالذات لك صراع عنيف مع الإنجليز .

- لا عنيف ولا حاجة ، ولكن - إن جئت إلى الحق - فإن الإنجليز جبنا وياليتنا نستطيع أن نواجههم في الميدان .

- نحن نستطيع مواجهة بريطانيا عسكرياً لو كانت لدينا حكومة غير الحكومة الراهنة ، رجال السياسة والسراى مش تمام ، وقد تعبنا من الصراع السياسى الضعيف الحالى مع الإنجليز ، ونريد أن ندخل معهم معركة حاسمة .

قلت : نستطيع والله ، وعيب أن تكون كل القوة البريطانية التى تحكم مصر لا تزيد على أربعين ألف جندى ، ونحن نستطيع تجنيد أربعمئة ألف .

وفى نهاية الحديث قال الرجل : مادمت لاتنوى ترشيح نفسك فهل أطمع فى أن تساعدنى ؟ .

- مادمت وفدياً فأنا فى خدمتك .

وبعد أن انصرف قلت لنفسى ، على فكرة : النقراشى باشا عنده حق عندما قال إن عصر الفتونة انتهى ، أما نحن فقد دخلنا فى عصر الصراع السياسى ، وأرجو أن يعرف النقراشى أننا فى خدمة سعد باشا .

والحقيقة أنني كنت قد شبعت من أعمال الفتونة ، إن كل ما كان يجذبني إليها هي مكاسبها ، ثم إنني بطبعي كنت أحب صراع الفتوات ، فأننا إذا دخلت المعركة لا أدري ماذا كنت أفعل ، كنت أنسى كل شيء وأحطم كل ما يقف في سبيلي في اندفاع غريب كأن الناس يرهبونه ، ولكن هذه هي رجلى تتعبنى الآن وأخشى أن تزداد سوءاً مع الزمن .

غير أن الفرصة أتحت لي لأدخل في أكبر معركة دخلتها في حياتي ، فإن المعلم حمدان أبو كرشة ، وهو أحد فتوات الجمالية كان يستعد للاحتفال بزواج ابنه أنور ، وكان يريد أن يجعل فرح ابنه أعظم فرح في تاريخ الجمالية ، فطلب من التجار مبلغاً ضخماً ، حوالى خمسمائة جنيه ، والتجار وجدوا أن ذلك كثير فقصدوني فرأيت أنني لا بد أن أتدخل ، والحق أنه لم يكن من السهل لقاء المعلم حمدان أبو كرشه فقد كان فتوة مخيفاً ، وكان رجلاً بلا ضمير وقد سبق أن التقيت به في معركة عنيفة وتغلّبت عليه ، ولكني دخلت السجن بعد هذه المعركة ، ولهذا فإنني لم أشعر بارتياح لما قاله لي التجار ، ولكن لا مفر ، كان لا بد أن أخوض معركة مع حمدان ورجاله ، لأن هؤلاء التجار كانوا أناساً طيبين كرماء ، ولم يسبق أن طلبت منهم شيئاً وتأخروا في الاستجابة ، ويعقوب الزنط قال : ياسيد المعلمين ، أظن أن الوقت قد حان لكي نخلص الحى من حمدان ورجاله ، هذه المرة سنضربه ونضرب رجاله علقه تكون فيها نهاية هذا الرجل وأمثاله .

وقد قدرت منذ البداية أن المعركة ستكون حامية جداً ، لأن المعلم ( حمدان أبو كرشه ) لم يكن في الحقيقة فتوة ، ولكنه كان لُصاً ، فلم يكن يتمتع بأى احترام وإن كان مهيباً في المنطقة كلها ، وقد بدا لي أن أضرب هذا اللص علقه ساخنة وأن يكون هذا نهاية طيبة لعملى في الفتونة ، فقد كان لابد من تطهير الجو منه ، ولأمر ما أحسست أن القضاء عليه لن يكون إلا على يدي .

وأحب أن أقول هنا : إن معركة مع رجل مثل ( حمدان أبو كرشة ) يمكن أن تكون معركة محترمة ترفع مكانى فى الحى إلى مستوى رفيع ، فهذا لص ورجاله لصوص ، وأنت عندما تخوض هذه المعركة تعرف أنك لن تترفع عن شىء ، فأنت لابد أن تضرب بكل ماتستطيع حتى تقضى على الخصم تماماً . ، ومع الفتوات الآخرين هناك قواعد وأصول ، أما هنا فلا قواعد ولا أصول ، ومنذ البداية كنت أفكر فى الطريقة التى أخوض بها هذه المعركة وأخرج منها بأقل الخسائر .

والخطة التى رسمتها ، واتفقت عليها مع يعقوب الزنط ، كانت تتلخص فى الهجوم المباشر على هذا الرجل فى مقهاه وضربه مع رجاله بكل عنف ، وبالفعل ذهبنا بعد المغرب إلى المقهى الذى كان يجلس فيه هذا الرجل ، ووجدته هناك ، وبعد التحية قلت له : ماهذه الأموال التى طلبتها من التجار ؟ .

— وهل هذا شغلك ؟ هذا عملنا ، ونحن طوال حياتنا نعامل

التجار بهذه الطريقة .

- ولكننا لا نسرق التجار لكي نزوج أولادنا .

- نحن لا ننهب التجار ، هؤلاء كلهم لصوص ونحن نأخذ حقوقنا منهم ، وأنت أيضاً تفعل ذلك .

- أنا لأفعل ذلك قط ، لا يمكن أن يفرض الفتوة على التجار عقوبة مهما كان السبب ، نحن أصدقاء التجار وحماهم .

- لقد طلبت الفلوس من سيد الزغبى نقيب النحاسين ، وهو رجل عنده ألوف ، وكل النحاسين أغنياء و ٥٠٠ جنيه ليست شيئاً بالنسبة لهم .

- اسمع يامعلم حمدان ، الفلوس فلوس ، ونحن ليس لنا الحق في أن نطلب من التجار مالا ، إن التجار هم الذين تعودوا أن يدفعوا للفتوات ، وهم يقومون في مقابل ذلك بخدمات كبيرة للناس ، أما أن تفرض عليهم غرامات على مزاجك فهذا لا يجوز نحن نشبه البوليس يامعلم حمدان ، والعلاقة بيننا وبين التجار ينبغي أن تكون علاقة صداقة واحترام ، أما النهب فهو عيب ، عيب كبير .

- تريد أن تقول إننى أنهب التجار ؟

- نعم ، هذا هو ماتفعله .

- إذن فهذا ماأفعله وسأفعله فأرني شطارتك .

ولم يكذ يقول هذه العبارة حتى أطبقت بيدي على زمارة رقبتة ،

ورفعته ووقفت به حتى اختنق واستغاث ، وأقبل رجاله ليساعده  
فطحنا فيهم ، ويعقوب الزنط أظهر بسالة غير عادية ، وارتقى  
حمدان على الأرض شبه مغمى عليه ، ودارت المعركة بأعنف صورة  
حتى ضربنا كل رجال أبو كرشة وحططنا القهوة ، ورجالي وجدوا في  
جيب واحد من رجال حمدان مائة جنية وقطع مصاغ فأخذناها ،  
وأخذنا من جيوب حمدان أكثر من ثلاثمائة جنية ، والبوليس أتى  
وتدخل ، ولكن يبدو أنه سرهم أننا فعلنا ذلك ، فلم يمسكوا منا أحدا  
وتجمعنا وانصرفنا بعد أن قضينا على هذا اللص وعصابته قضاء  
تاماً .

لا تتصور أثر ذلك في الحى كله ، كان ( حمدان أبو كرشه ) كما  
قلت لُصاً ، وقد استمر في أعمال اللصوصية تحت ستار الفتونة  
أكثر من عشر سنوات ، فكان القضاء عليه خدمة للحى لا تقدر ،  
وقد ضربنا هؤلاء اللصوص وحططنا مقهاهم إلى درجة أنهم لم  
يعودوا إلى الاجتماع مرة أخرى قضينا عليهم فعلاً .

هذا العمل أعجب أهل الحى إعجاباً عظيماً ، وقضائى على  
حمدان الحرامى بيدي ، جعلنى فعلاً فتوة شارع محمد على كله ،  
وفتوة حى الحسين كله ، وإيرادى وصل إلى ٥٠٠ جنية فى الشهر  
من التجار ، كانوا يدفعونها طواعية ، وكانت أم عبد الحميد هى  
أمينة الصندوق ، كانت تتسلم النقود منهم بالذوق ، وفى الساعة  
الثانية بعد الظهر كانت تأتى وهى فى أنق ثيابها ، وقد ربطت على

رأسها منديلاً بقوية مزيناً بالترتر ، وتقرأ على الحساب وأنا أكل ، ثم تأمر الخدم أن يأتوا بالماء الدافئ فأغسل يدي ويغسلون رجلي وهي مستمرة في قراءة الحساب ، ونصل إلى نهايته فتقول لي : فايض معنا الآن ثلاثمائة أو أربعمئة جنيه ، وغداً أضعها في حسابك في صندوق البريد ، وأحياناً تقول : هل تاذن لي في أن آخذ منها خمسين أو مائة ؟ لأننى أريد أن أشتري حلتين نحاس أو طقم أطباق سفرة ، فأوافق ، وتقول : وإذا تفضلت فأنا في حاجة إلى هدوم وسأخذ مائة جنيه لأشتري فستاناً وملابس داخلية من شيكورييل وأقول لها :

خذى عيني ياست الكل ، وهل عندى في الدنيا أغلى منك ؟

وفي ذات مرة قلت لها : أنت والله يأم عبد الحميد أغلى مافى حياتى ، أنت جمال الدنيا كله ، وأنا أحياناً أعتدى عليك وأتزوج نساء أخريات ، ولكن هذا ضعف منى وفراغ عين ، وأحياناً أكون مضطراً إلى ذلك ولكنه لا يمس حبك .

فتقول في رقة : اعمل اللى أنت عاوزه يامعلم بس خلىنى معاك .

- نفسى أترك كل شىء آخر لكى أتمتع بالحياة معك .

- إن شاء الله ياسيد الرجاله ، المهم أن الباقي الذى سأضعه في صندوق البريد في حسابك مائتا جنيه .

- معلوم ولكنى سانام الآن ، وعندما أستيقظ تأتيني لتدلكى لي رجلى فهى تؤلمنى .

- سلامتك ياسيد الكل ، حاضر ! من عيني دى وعيني دى .

وجاءها مرة رجل وأنا غائب ورجاها فى أن تشترك معه فى ضربى علقه ، إنه مساعد أحد الفتوات ، فقالت له : انتظر .

وخرجت وبعثت تطلب يعقوب الزنط ، وحكت له الحكاية ، ويعقوب دخل وضرب هذا الرجل علقه ساخنة حتى كاد أن يقتله ، ودس يده فى جيبيه وأخرج خمسمائة جنيه .

قال الرجل : لقد أتيت بها من المعلم عنانى للمعلم الجوهرى .

وأخرجوا الرجل ورموه خارج البيت ، وانتظرت أم عبد الحميد أن يعود إليها يعقوب فلم يعد ، فأرسلت تطلبه ، وجاءها فقالت له :  
فين الخمسمائة جنيه يايعقوب ؟ ..

- دول بيقوا بتوعى وبتوعك .

قالت : دى فلوس المعلم الجوهرى ، لا أنت ولا أنا .

فقال لها : نعطيه ٣٠٠ وأخذ أنا مائة وتأخذين أنت مائة .

- الفلوس تسلمها كلها للمعلم الجوهرى ، فقد سمعت الرجل يقول : إنها له .

- ولكننى أنا الذى ضربت وأنت التى استدعيتينى .

- نحن كلنا أتباع المعلم الجوهرى ، هات الفلوس ، وأعطاها الفلوس وخرج .

وعندما جئت حكمت لى الحكاية ، فاستمعت فى هدوء ، وأحضرت يعقوب وقلت له : لماذا تصنع ذلك يايعقوب ؟.

قال يعقوب : معلمش يامعلم ، أصل مراتى عيانه .

- وهل أنا أحوش عنك مالأ .

- لا يامعلم ، هذه غلطة ..

- خلاص ، ولكن لا تكررهما ، وهذه مائتان منى لك لتعالج امرأتك .

وأخذ يعقوب الفلوس وقلت لأم عبد الحميد : خذى هذه الثلاثمائة لك .

قالت : لا يامعلم ، الفلوس دى فلوسك ، وأنا معك لا أحتاج شيئاً .

فقال وهو على وشك الغضب أنا عندما أقول لك شيئاً تعمله ، هذه الفلوس لك .

قالت : حاضر !.

ولكنها فى اليوم التالى وضعتها فى حساب المعلم ووضعت الإيصال على السفارة . فأخذها وابتسم وقال : مافيش فايده دى ملاك .. ثم ناداها وقال لها : برضه عملتى اللى فى بالك !!.

- لم أعمل غير الحق .

- إذن تضعين رجلك على السفرة هنا ، ووضعت رجلها فقبلتها وهى بكت وأنا جلست فى السرير ، ومالت على رجلئى تقبلها ودموعها تجرى .

ثم حدث بعد ذلك أننا ضربنا واحداً من البكوات الذين يعملون فى السياسة ، وكان عميلاً من عملاء الإنجليز ، ضربناه وأخرجناه من بيته بالفانلة واللباس ! وكان الوفديون قد أفهمونا أنه كلب خائن يتعاون مع الإنجليز . وقد ضربناه وأصحابه ضرباً مبرحاً ، وقد تحدثت مصر كلها بذلك .

وما كان الإنجليز أو الحكومة ليسكتان عنا بعد أن ضربنا رجلهم الأنيق وخلعنا عنه ثيابه وأخرجناه بالملابس الداخلية ، وكان هذا الرجل - سليم بك الجمال - يمثل فى نظرهم طرازاً من ضعاف الرجال الذين يبيعون أنفسهم ليحققوا للحكومة ماتريد ، وأظن أنه لم يحدث أبداً أن أهين رجل من هؤلاء على النحو الذى فعلناه له ، ولكن الميزة الكبرى التى يتميز بها الإنجليز هى الصبر ، فهم لا يسرعون فى التصرف قط ، وإذا كان لابد أن يعاقبونا فإن ذلك سيكون فيما بعد ، وعلى أى حال فإننا نحن لم نشعر بخوف ، فكلنا والحمد لله مستعدون لمواجهةهم ، وقد نبهت على رجالى بأن يضبطوا أعصابهم ، وأن يتوقفوا عن أى محاولة للانتقام من الإنجليز عن طريق إثارة الحكومة أو إغضاب رجالها .

ولكنى لاحظت أن البيت ازدحم بالرجال مرة أخرى ، وكان

الرجال الذين تجمعوا في البيت من ذلك النوع الرديء الذي لا أحبه ولا أستطيع الإفادة منه . وتحدثت مع أم عبد الحميد في ذلك ، ووجدت منها ترحيباً بالخلاص من معظم أولئك الرجال ، خاصة وقد بلغنا أن بعضهم غير مستقيم ولا تشرفنا معرفته .

وأم عبد الحميد تحدثت في الأمر مع يعقوب الزنط رئيس جماعتي ، ويعقوب سألني فقلت له : شوف يا يعقوب ، عندنا في البيت الآن فوق العشرين رجلاً ، ونحن لسنا في حاجة إلى معظمهم وأنت تعرف من له قيمة منهم وتستبقيه وتخلصنا من الباقي . خاصة أن هذا العدد الكبير من الطفيليين يأكلون كل ما يتجمع لدينا من الطعام ، وبعضهم لا يكتفى بالأكل ، بل يأخذ معه شيئاً إلى أسرته . فوعد يعقوب بالخلاص من هذا النوع الذي لا يتفق معنا من الطفيليين ، وخلصنا يعقوب من بعضهم فعلاً ، وكان عنيفاً في بعض أعماله ، ولكنني لم أنكر عليه شيئاً ، فلم نكن في الحقيقة لنستطيع الخلاص منهم إلا بالعنف ، وقد أسرف في العنف مع واحد منهم وقال لي إنه رجل منحط ، ولا سبيل إلى الخلاص منه إلا بهذه الطريقة ، ولم يبق من الجماعة عندنا إلا ستة رجال ، وكان ثلاثة منهم لهم بيوت وعائلات ، فلم يكونوا يزحمون البيت ، وتمتعنا في النهاية بالهدوء الذي كنت أتمناه بعد أن بلغت ذلك المستوى .

ولم ألبث أن تبينت أنني أحسنت صنعاً ، فقد زارني ذات صباح مرشح الوفد للنيابة عن الجمالية واسمه البنان بك ، وكان رجلاً

محترماً فعلاً ، وقد أبلغنى أن النقراشى بك سعد بما فعلناه بسليم بك الجمال ، وأن هذا الرجل كان يستحق أسوأ من ذلك ، ولكن ماجرى له على أيدينا كان فيه الكفاية . والبنان بك طماننى إلى أن الإنجليز لم يغضبوا غضباً شديداً لما جرى لرجلهم لأنهم فى الواقع لم يكونوا يحبونه ، وقد أدى لهم خدمات وأخذ منهم مقابل ذلك مالا ولم يعد له عندهم شىء .

وأضاف البنان بك : إن النقراشى بك يسعده أن يرانى وعندما التقيت بالنقراشى بك فهمت أنه - والوفد كله - غير سعداء بسير المعركة الانتخابية ، وأن سعد باشا كان يتطلع إلى حماس شعبى أكثر مما كان يجرى فى تلك الأيام ، وسألنى إن كنت أحب أن أرشح نفسى لمجلس النواب عن باب الخلق ، فقلت له إن الأمر أمره ، أما إذا كان على أنا فأنا فى الحقيقة لا أحب السياسة ولا أستريح للكلام الكثير ، فابتسم وقال : أهذا رأيك فى السياسة ؟ كلام كثير ؟ .

- قصدى البرلمان ، فإنهم يتجمعون فيه للكلام ، وأنا رجل نشيط أحب الحركة وأخشى ألا أحسن الكلام .

فقال : على الأقل أنت رجل تقول الحق كما تراه وهذا يعجبنى ، ولكن المهم هو أن تظل معنا وأن تتأكد أننا مستعدون لتقديم أى مساعدة تحتاجها .

قلت : أما أننى معكم فهذا مؤكد ، لأن سعد باشا رجل عظيم حقاً ، ويكفى أنه صفع الإنجليز على وجوههم ، ولم يكثر بسجن

أو نفى ، والله سبحانه يمنحه الصحة والعافية ويساعدنا على القيام بحقكم ، ولكم أن تطلبوا منى ماتريدون فستجدوننى فى خدمتكم .

قال : هل تسمع عن رجل يسمى الربيعى ؟ .

قلت : نعم توفيق الربيعى فتوة باب الخلق ، وكلنا نعرفه .

قال : هذا الرجل يبدو أنه « مش مضبوط » .

- كلنا نعرف أنه « مش مضبوط » ولكنى لم أكن أهتم به لأنه بعيد عنى ، ولكن إذا كان يحاول الآن أن يقوم بشيء ضد سعد باشا فأنا مستعد لتأديبه ، وما أسمعته عنه لا يبرر ادعاءه أنه فتوة باب الخلق ، فنحن لا نعرف عنه شجاعة ولا رجولية تبرر الفتوة التى يزعمها لنفسه ، وإذا أراد سعد باشا أن نقصف رقبته فنحن مستعدون .

فسكت لحظة ثم قال : الحقيقة أن هذا الانسان يسعى لترشيح نفسه لمجلس النواب ضمن حزب الأحرار ، ونحن لا نخشاه لأن مرشحنا أمامه رجل محترم جداً وسيمحوه محوا ، ولكنى أنا شخصياً لا أقبل ما أسمع من كلام غير مقبول منه يقوله عن سعد باشا والوفد .

قلت : إذا كان الأمر كذلك فدعه لى وأنا أتصرف معه بطريقة تعجبك إن شاء الله .

وعندما نهضت لأمضى قلت له : ياسعادة البيه . إذا كنت

تستطيع أن تحدد موعداً لى مع سعد باشا كنت شاكرألك ، أنا لا أريد منه شيئاً ولكنى أحب أن أرى هذا الرجل العظيم وأحدث معه وأسمع صوته .

- هذا أمر بسيط جداً يامعلم ، وسعد باشا يسره أن يرى رجلاً مثلك فعل ما فعل بسليم الجمال .

قلت : أشكرك وأرجو أن ندع هذه المقابلة إلى ما بعد التصرف فى موضوع توفيق الربيعى لكى أذهب إلى سعد باشا بشىء جديد .  
- كما ترى ، على أى حال نحن تحت تصرفك .

وبعد أن عدت إلى بيتى قلت ليعقوب الزنط : إيه رأيك فى توفيق الربيعى؟

- ماله ؟

- يظهر أن ذلك الرجل يقل أدبه على سعد باشا والوفد .

قال : هذه مسألة تهم الوفد ، ومالنا نحن ومالها .

- قصدى أنك تعرف أن أوان الفتونة قد فات ، وإذا كان ولا بد أن نظل فتوات فلا بد أن يكون لنا دور فى الحركة الوطنية ، فإن البوليس تحسن جداً الآن ، ولم نعد نستطيع اليوم سلكنا نفعله بالأمس ، فإذا نحن دخلنا الحركة الوطنية أصبح للفتونة دور ، وإذا كان رجل مثل توفيق الربيعى يضر البلد فلا بد أن نقوم معه بشىء خاصة وقد تكلم النقراشى بك معى فى الموضوع .

فقال : شوف يامعلم : توفيق الربيعى « مش حاجة » وإذا أردنا القضاء عليه فعلنا ذلك دون صعوبة كبيرة ، ولكن إذا كنا نستطيع أن نتجنب ذلك كان أحسن ، لأنه فى الحقيقة صديق لنا وهو يقدم لنا خدمات لها قيمتها بين الحين والحين ، وأنت بالذات لك مركز عظيم فى نظره .

قلت : شوف يايعقوب ، لقد قلت لك إن الفتونة بالصورة القديمة لم يعد لها دور ، ومركزنا يتلاشى يوماً بعد يوم بسبب الحركة الوطنية التى يسير معها كل شىء فى مصر ، وقد أصبح لنا مركز ممتاز نتيجة لما فعلناه مع سليم بك الجمال ، فإذا كنا نستطيع أن نفعل شيئاً شبيهاً بذلك مع توفيق الربيعى ارتفع مركزنا فى نظر سعد باشا وأصبحنا شيئاً محترماً فى نظر الوفد .

فردَّ يعقوب : إذا كان هذا رأيك فلا بد أن نقوم بشىء ولا بد لى من تفكير يومين ثلاثة فى ذلك الموضوع .

وبالفعل تحدث إلى يعقوب فى موضوع الربيعى وقال : قد تبينت أنه رجل عجيب ، فليس عنده شىء من الشرف أو الوطنية أو الشجاعة ، ولكنه مع ذلك قوى ومخيف ، ثم إنه غنى جداً لأنه بدأ حياته رئيساً لعصابة لصوص ورثها عن أبيه ، وقام بعمليات لصوصية منكرة ، ثم أعلن نفسه فتوة باب الخلق وجزء كبير من شارع محمد على ، ونهب التجار نهباً ، وها هو الآن يريد أن يدخل ميدان السياسة ، وياليتة يسير مع سعد باشا ، ولكن خلقه الذميم

جعله يميل إلى أعداء سعد وهاهو اليوم يفكر في ترشيح نفسه لمجلس النواب ، ولا بد أن يوقف عند حده ، وسعد باشا يرى أن هذا عملي أنا ، وقال يعقوب إننا إذا أردنا إزالته من الزعامة أزلناه .

وبالفعل ضربناه علقه ساخنة في خناقة لها العجب ، وبعد أن ضربناه وأخرجناه من الفتونة أعجبتنى ابنته إيناس ، وكانت شابة حلوة ، وهى الأخرى أعجبت بى ، وتزوجنا ، وأبوها فرح بالزواج ورقص فيه ، ولكنه ابتعد عن السياسة والفتونة .

وعاشت معى إيناس أربع سنوات ، وكانت فعلاً زوجة ممتازة ، ولكنها كانت تختلف عنى وعن حولى اختلافاً بينا ، كانت تحس فيما أظن أنها تنتسب لأسرة رفيعة من أبناء الأصول وبناتها . وكانت تتصرف تصرفاً يعجبنى ولكننى لم أفكر قط في السير على طريققتها ، ولا هى عاشت في بيتنا إلا أياماً قليلة ، فقد كان قصرها جميلاً ومريحاً جداً ، وأعتقد أنها خشيت من أن يطول مقامها في بيتى خوفاً من أم عبد الحميد ، ومما لاشك فيه أنه إذا كان قد حدث تصادم بين الاثنين لكانت النتيجة غير سارة لى ، ولكن ذلك لم يحدث لحسن الحظ ، ثم إن أم عبد الحميد - تقديراً لى - حرصت ألا تتحدث عنها حديثاً سيئاً أبداً ، ولعلها كانت تحس أن مصيرى في النهاية إليها ففضلت الصبر ، ولا بد أن أقول إنها كانت صبورة ومازالت صبوراً إلى اليوم وهذا الصبر كان نعمتها الكبرى ، وكان نعمة على ، ويرجع إليه الفضل فى أننى عدت إليها وحدها دون غيرها

في نهاية الأمر ، أما إيناس فأعتقد أنني أعجبتها كما أعجبتني ،  
وكنت أسعد بها كما كانت تسعد بي ولكننا كنا من عالمين مختلفين ،  
وقد أحسست وأنا معها أن واحداً من أبناء جماعتها أعجبها كما  
أعجبتة هي ، وأنا شخصياً كنت راغباً في الخلاص منها رغم حبي  
لها ، ولكني تركت الخلاص منها إلى الوقت المناسب فاستمرت  
الحياة بيني وبينها وكذلك مع أم عبد الحميد وجاء الوقت الذي  
تخلصت فيه من إيناس وعندما انتهى أمر إيناس وطلقتها شعرت  
أنني عدت أخيراً إلى المرأة التي تحتمل كل متاعبي خاصة وأن رجلي  
اليسرى بدأت تؤلمني فعلاً وأحسست أنني في حاجة إلى امرأة  
تخلص في خدمتي .

وخلال هذه الفترة مضيت في طريق الفتونة وكانت لي فيه  
ضربات ضخمة منها واحدة أعتقد أنها أكبر ضربة في تاريخ الفتونة  
ومازلت إلى يومنا هذا أذكرها بفخر .

وهذه الضربة كانت ضد فتوين آخرين ، واحد في حى الخليفة ،  
والثاني في حى القلعة ، ولقد ظننا أنني غني جداً ، لأنني فعلاً أعيش  
عيشة الأغنياء في بيت إيناس ، فقررا الهجوم على القصر ونهب  
الأموال التي كانا يظنان أنها مكسدة هناك .

وبلغتني أخبار المؤامرة عن طريق جواسيسى ، وقد غاظنى  
جداً أن الاثنين كانا من أحقر الناس ، فالأول : عوضين العتر  
( فتوة الخليفة ) كان بياعا على عربة يد ، وكان لصا وقد جمع أناسا

مثله لا أخلاق عندهم وكون عصابة وصار يفرض ضرائب على التجار ، ثم سمى نفسه فتوة ، ولكنه كان لصاً وقاطع طريق .

والثانى : عبد الله قرشانة ( فتوة القلعة ) كان خادماً واعتدى على سيده وجمع بقية الخدم وكون عصابة وفعل فعل صاحبه وأصبح هو الآخر فتوة . وقد شعرت — وأنا فتوة — أن وجود هذين الشخصين فى قائمة الفتوات إهانة لى ، ولكن حيث أنهما لم يتعرضا لى فقد تركتهما لأهل الخليفة والقلعة ليتصرفوا معهما .

والآن أسمع أنهما يديران على ، فازداد غيظى ولكنى أمسكت أعصابى وتفاهمت مع يعقوب الزنط ، واتفقنا على أن نجتمع أكبر عدد من رجالنا فى بيت إيناس وننتظرهم فى سكون حتى يهجموا علينا .

وبالفعل هجموا ، وكانت ليلة مقمرة ، وكان عدد رجالهم كثيرا ، فتركناهم يهجمون على الغرفة التى كانا يظنان أنها خزانة المال والجواهر ، وبعد أن دخلا مع رجالهما وفتشوا ولم يجدوا شيئا وخرجوا وجدونا فى انتظارهم .

وكننا عشرة رجال وأنا على رأسهم ، ولكننى لم أدخل المعركة لأننى فضلت أن أقوم بدور القائد ، وأترك يعقوب الزنط يقود القتال ، وكننا قد تسلحنا يومها بالسكاكين ، وكانت سكاكين رهيبة ولمسة منها تجرح وكالعادة هجمنا كالقضاء المستعجل ، وهؤلاء الناس فى العادة لا يعرفون السرعة فضربناهم وقبضنا على أربعين

منهم وكتفناهم وقطعنا من أيدي ثلاثين منهم أصبع السبابة لكل واحد وتركناهم ، أما العشرة الباقون فكانوا الرؤساء ومنهم الفتوتان ، وهؤلاء قطعنا الذراع اليمنى لكل منهم ، وخلعنا ملابسهم إلا اللباس وخرجنا بهم إلى حى الخليفة فطفنا بهم الشوارع ثم مضينا بهم إلى حى القلعة وقمنا بنفس الزفة وكانت فضيحة ، انتهى بها أمرهما ولم يعد هناك في حى الخليفة وحى القلعة فتوة ، وقد أخذنا كل ما وجدنا معهم من أموال وجواهر كالجواهرم وكالعادة فرقت كل شىء على الرجال ولم آخذ أنا إلا خمسين جنيها ، أما بقية الرجال فلم يقل ماأصابه الواحد منهم عن مائتى جنية فزاد تعلقهم بى ، وأصبحت فعلا فتوة فتوات مصر ، وذهبت لزيارة سعد باشا ، وكان مريضا مرض الموت ، وتعرفت على مصطفى النحاس قدمنى له النقراشى وتبرعت بألف جنية للوفد ، وعندما مات سعد باشا فى أغسطس سنة ١٩٢٧ أقيمت فى باب الخلق أعظم « ميتم » لسعد باشا عرفته القاهرة .

ثم بلغنى : أن إيناس كانت على علم بتدبير عوضين العتر وعبد الله قرشانة فتوتى الخليفة والقلعة . وهذه المرأة الغبية كانت تظن معهما أن عندى ملايين فطمعت فيها ، وكانت كما قلت تميل إلى شاب من جماعتها فأبعدته بطريقة مهينة ، أمسكنا به ومددناه وضريناه على قدميه خمسين « خرزانة » وجلدناه على مؤخرة ظهره مائة خرزانة ، وأطلقنا سراحه فى ملابس شحاذين حافياً ، وخرج ولم يعد طبعاً ، وهذا أغضب إيناس طبعاً ولكنها لم تقل لى شيئاً فقد كانت ترهبنى .

هذه المرأة - إيناس - كما قلت كانت حلوة جداً ، وكنت أستمتع بالجلوس معها في غرفة نومنا في قصرها ، وكانت أنيقة جداً ، وكان مطبخها عظيماً فكننا نبقى معاً نأكل ونتحدث ونتسامر وكانت تظهر لى إخلاصاً شديداً .

ولهذا فقد ضايقتنى جداً أن تكون لها يد في مؤامرة فتوتى الخليفة والقلعة ، وقررت في النهاية أن أستمتع إلى كلام أم عبد الحميد التى كانت لا تحبها قط . ولكنها صبرت لأنها كانت تحبني وكانت واثقة من أننى سأعود إليها في النهاية .

وعندما قررت أن أعاقب إيناس كنت معها ذات ليلة في غرفتنا ، وكانت قد أعدت طعاماً شهياً ، وكانت تشرب الخمر أما أنا فلم أشربها في حياتى ، وبعد أن أكلنا واستمتعنا وتكلمنا وكنا في منتصف الليل قلت لها : هل تعرفين عوضين العتر وعبد الله قَرَشَانة فتوتى الخليفة والقلعة سابقاً ؟ .

فذهلت واضطربت وعرَفْتُ أن مابلغنى عنها حق ، وقيلت لا والله لا أعرفهما .

- لماذا تكذبين يا إيناس وأنت تعرفين أننى لا أحب الكذب ؟ .

قالت : أقول الحق ، كنت أعرفهما ولكنى والله العظيم لا يد لى فيما قيل لك من أننى اشتركت معهما في مؤامرة القصر .

- لماذا تكذبين يا إيناس ، أنت تعرفين الآن أننى أعرف كل

شىء ؟ .

قالت ( وهى فى أشد حالات الخوف ) : والله كنت مظلومة .

- ومن الذى ظلمك ؟ خايفه من إيه وأنت معى وتعرفين أن الذين معى لا يخافون أحداً .

- أهه ، كنت خايفة ! .

- يا كاذبة يا نصابة ، لقد قالت لى أم عبد الحميد عنك كثيرا ، ولكننى لم أصدق بل كنت أحبك أكثر مما أحبها .

- والله العظيم هى التى دبرت ذلك كله ضدى .

- لا والله ما فعلت هذه السيدة الكريمة شيئا ولا قالت شيئا لأنها تحبنى وتحترمنى وتصبر علىّ ولكنى سانادها الآن وسأدعها تحكم عليك .

- أرجوك وأقبل يدك ورجلك .

قلت : إنها لن تقطع رقبتك ! .

وأرسلت خادمة أتت بأم عبد الحميد وقلت لها : الآن ثبت لى أنك على حق أيها الزوجة الكريمة المخلصة ، فهذه المرأة خائنة وكان لها يد فى مؤامرة العتر وقرشانه .

- لم أكن أعرف ذلك ، ولكننى متأكدة من أنها تشترك فى كل أمر يضرك ، لأنها امرأة شريرة وخاسرة وفاسدة وبتاعة سهرات ولعب وقمار وخمر .

- حسناً يا أم عبد الحميد الآن أنا أطلقها والتفت إلى إيناس  
وقلت : أنت طالق ثلاثاً وتتنازلين عن كل حق لك قبلى .

- أتنازل بس سيبوني أخرج على رجلى .

- ستخرجين ولا تخافين والآن بماذا تحكمين عليها يا أم  
عبد الحميد ؟ .

- أحكم عليها بأن نقص شعرها ونحلق رأسها وحواجبها  
بالموسى وندعها تخلع ملابسها وتلبس ملابس شحاذين وتخرج  
من بيتنا حافية هكذا .

فقالت إيناس : هذا ليس ببيتكم إنه بيتى .

قلت : أعرف ياستى ، هذا ليس بيتنا ، ستخرجين بهذه الصورة  
وسنلف بك الشوارع وعندما تعودين لن تجدينا .

وفعلنا ذلك كله بها ، وخرجت إلى الطريق محلوقة الرأس  
والحواجب بالموسى ، وكانت حافية وبملابس تقرف ، ورجالى  
طافوا بها فى حى جاردن سيتى الذى كان فيه قصرها ، وكانت  
فضيحة . وموكبها وصل إلى حى محمد على ، وفى أثناء ذلك جمعت  
هدومى وأخذت أم عبد الحميد ورجالى وكل ماكان فى القصر من  
نقود وجواهر وخرجنا وعدنا إلى بيتنا فى شارع محمد على .

وكنت أعرف أن هذه المرأة لن تسكت ، فهى من أسرة غنية  
وكبيرة وأقاربها فى وظائف كبيرة ومنهم لواءات ولاشك فى أنها  
ستدبر ضدى شيئاً .

ولكنها لم تجرؤ على شيء ، لزمتم دارها حتى طلع شعرها  
واستطاعت أن تقابل الناس ولم تقل شيئاً على ما أخذناه من بيتها ،  
وقد نصحتها أحد أقاربها بالسكوت ، وكان يعرف أن رجلاً مثلي  
ليس سهلاً فسكتت ومرت الحكاية كلها بسلام .

وعلمت أن رجلاً يسمى رجائى بك لطفى يدير على الوفد ويريد  
أن يرشح نفسه للبرلمان فى حزب الشعب وهو حزب الملك فقررت  
ضربه وعمل فضيحة كبيرة له .

واتفقت مع يعقوب الزنط على أن نقوم بغزو هذا الرجل فى بيته  
وقريته ، واخترنا خمسة من أحسن رجالنا ليكونوا معنا ، فكان  
جيشنا مؤلفاً من سبعة أشخاص أنا ويعقوب على رأسهم . وقررنا  
ضربه فى بيته فى قريته حتى تكون الفضيحة كاملة .

ووصلنا القرية يوم خميس بعد الظهر ، وكنا نعرف أنه يقضى  
الخميس والجمعة فى بلدته قرب بنها ، لبسنا ملابس تجار فلاحين ،  
وحملنا أقفاص البضاعة على رؤوسنا وفيها خبأنا السلاح ،  
ووصلنا إلى مكان غاص بالشجر قرب القرية فدخلنا بين الأشجار ،  
وهناك ألقىت تعليماتى لرجالى ، وكان يعقوب الزنط يومها كالأسد  
شجاعة وفراسة ، وبعد أن فهم الرجال تعليماتى وعرف كل منهم  
دوره ، وماذا سيعمله أكلنا دجاجاً كنا أحضرناه معنا ، ثم نمنا نحو  
ساعتين ، وأقفنا فى منتصف الليل ، وفى الساعة الواحدة صباحاً كنا  
قد أكملنا استعدادنا ، قررنا أن يقوم بالحملة خمسة منا ويظل

اثنان بين الأشجار يحرسان الأسلحة والأطعمة وبقية الأشياء .

وفي الساعة الثانية كنا أمام البيت . هجمنا على الحرس والبوابين وضربناهم وكتفناهم ، وتأكدنا أن رجائي بك هنا ، فدخلنا في نظام وشجاعة ، وصعدنا السلم ، لم نصادف أحداً . كان الجميع نياماً ، وفجأة هجمنا على غرفة نوم رجائي بك ، كان في عز النوم فصحا مرتعباً ، وأراد أن يظهر بأشجع ما يستطيع ، ولكنى هجمت عليه وأخرجته من السرير ، وأمرت رجالي بأن يقفلوا عيونهم حتى تلبس امرأته ملابسها .

ولبست وقلت لها : لا تفتحي فمك أرجوك . نحن لا نريد العدوان عليك لأننا لانعتدي على النساء . سترين أن كل ما سنطلبه من زوجك معقول وهو في صالحك أنت قبل كل شيء ، والمرأة فهمت فجلست بعد أن لبست ثياباً ثقيلة على طرف السرير ولم تفتح فمها إلى النهاية .

وقلت لرجائي بك : بقى حضرتك في حزب الشعب ، يعنى من حزب الحرامية ...

فقال الرجل : ماذا تريدون منى ؟ .

- نريد أن تترك هذا الحزب الزفت وتنضم إلى حزب الوفد .

- أنا لا أحب الوفد أو الوفديين ...

- لا بد أن تحب الوفد والوفديين .

- كلهم مستبدون والنحاس باشا ومكرم باشا جبابرة .  
- سترى أنهم ليسوا كذلك ، وأنهم يريدونك أنت بالذات لأنك  
رجل معروف وغنى .

- سيرفضوننى ..

- يعنى أنت مستعد لأن تترك حزب الزفت ..

- تقصد حزب الشعب ؟ إنه يرشحنى لمجلس النواب عن بنها .

- والوفد أيضاً مستعد لترشيحك فى أى مكان تريد ..

- ومن يضمن لى ذلك ؟ .

- أنا . سأرتب لك موعداً مع النحاس ، وسترى أنه رجل طيب  
جداً . ولكنك ينبغى أن تعلن الآن أنك تنفصل عن حزب الشعب  
وتنضم إلى الوفد وتعلن تأييدك للنحاس ومكرم .

- أنا مستعد ، ولكنى لا أضمن ..

وقالت السيدة حرمه : هؤلاء رجال عقلاء يارجائى ، وهم فى  
الحقيقة يمكن أن يؤدوا لك خدمة كبيرة . إن انضمامك للوفد خير  
ألف مرة من هذا الحزب الذى أنت فيه الآن ، وكل رجاله لصوص .

فقال رجائى بك : يعنى الوفد مستعد لقبولى عضواً فيه ؟ .

- طبعاً ولكن لا بد أن تكتب الآن إعلاناً رسمياً تقرر فيه أنك  
تترك حزب الشعب لأنك تبيننت أنه غير وطنى ، وأنه لا يخدم البلد ،

ولكنه يخدم الإنجليز والملك ، وأنت تنضم إلى الوفد حزب مصر الأصيل وتصبح من رجاله .

- ربما وافق النحاس باشا على قبولى ، ولكنى أخاف من مكرم عبيد .

- لا تخف من مكرم عبيد ، إنه لا يستطيع مقاومة النحاس ، مادام النحاس قد قبلك فتق أنك أصبحت عضواً فى الوفد ، ومكرم عبيد سيرحب بك .

- أنا موافق وأعلن خروجى من حزب الشعب وانضمامى إلى الوفد .

- كتابة أرجوك ، لابد أن تكتب ذلك .

وقالت امرأته : أنا أحضر إليك الورق والقلم .

وقامت لتخرج من الغرفة فقلت لها : لا تحاولى استعمال التليفون من فضلك . لقد قطعنا كل سلوك التليفون . أحضرى الورقة والقلم ، وتأكدى أنك إن فعلت شيئاً ضدنا قتلنا زوجك .

وقال لها رجائى بك : هؤلاء عفاريت يانعمات . هاتى الورق والقلم ، وأتت بالورق والقلم ، وكتب الرجل إعلانه والسلاح على رأسه ووقعه وقال : هل هذا يكفيكم ؟ ، وقرأ النص فقلت : نعم يكفينا .

وقلت له : الآن لابد أن تعطينا ألف جنيه .

- ليه بقى ؟ .

- لأننا جيش ولنا مصاريف .

وقالت امرأته : أنا أعطيكم الألف جنيه على شرط أن تخرجوا من هنا بعد ذلك .

- نحن سنفعل ذلك ، وتأكدى ياست هانم أننا أدينا لزوجك خدمة لم يكن ليحلم بها ، سيصبح من زعماء مصر .  
وقالت : نادولى ناشد أفندى .

ونادى يعقوب : يانا شد أفندى ..

ودخل ناشد أفندى ، كان رئيس حسابات رجائى بك ، كان رجلاً محترماً وإن كان فى ملابس غير مناسبة .

وقالت له الست : هات ألف جنيه من الخزنة .

وقال يعقوب : خليهم ألفين .

وقال رجائى بك : ليه بقى ؟ .

- ألف للمعلم الجوهري رئيسنا وألف لنا .

وقال رجائى بك : أعطهم ألفين . خلىنا نخلص .

وأتى ناشد أفندى بالفلوس . وأخذها يعقوب الزنط ، وقلت لرجائى بك قبل أن نخرج : شوف يارجائى بك ، أقسم بالله أنك لو غيرت رأيك أو كنت تلعب بنا فإننا سنقتلك . المسألة مشيت كويس إلى الآن ونريد أن تظل كذلك .

- مادمتم قد وعدتم بتسهيل المسألة من ناحية مكرم فأنا لن أتغير ، سأكون وفدياً مخلصاً تأكدوا من ذلك .

-والآن أنت تظل مكانك حتى نخرج .. وسأخذ سيارة من سيارتك لنعود بها ولكن تأكد أننا سنعيدها إليك .. نحن ناس أفاضل . وبعد غد إن شاء الله تكون على باب النحاس باشا في جاردن سیتی وستجدنى هناك . وأنا أتولى تقديمك إلى النقراشى ، والنقراشى سيقدمك إلى النحاس وإعلانك هذا سينشر فى الصحف غداً .

- موافق .

ونظرت إلى امرأته وقلت : اسمحى لى ياست هانم أن أبدى إعجابى بك . كتر خيرك ألف مرة . لقد أديت لزوجك خدمة لا تصدق ولن ننسى فضلك أبداً : كونى أنت رقيقة على زوجك لأننا نخاف أن يزقزق عقله ويرتد .

- لا تخافوا ، لن يرتد ، مافعلناه الليلة لن يتغير .

- شكراً ، سلام عليكم .

وخرجنا ، وأخذنا سيارة من سيارات رجائى بك ، كان معنا إعلان رجائى بك الذى أقر فيه بأنه يترك حزب الشعب وينضم إلى الوفد ، وذهبنا إلى المكان الذى تركنا فيه رجالنا فأخذناهم وعدنا إلى القاهرة .

وفي الصباح ذهبت إلى النقراشى بك وحكيت له الحكاية وناولته الإعلان فقرأه وقال : هل أنت واثق من أن هذا الرجل مخلص .

- لو لم يخلص لقتلناه .

قال : نحن لا نقتل .

- ولكننا نحن نقتل الخونة .

- أنت المسئول .

- نعم أنا المسئول .

وفي مساء ذلك اليوم نشر إعلان رجائى بك فى جريدة البلاغ وصباح اليوم التالى فى جريدة الجهاد ، وفى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، كنت مع النقراشى بك على باب النحاس ، ووصل رجائى بك لطفى وسلم ، وكان فرحاً مبسوطاً جداً ، والنقراشى أدخله على مكرم ، ومكرم رحب به ، ودخلنا كلنا على النحاس باشا وتمت العملية على أحسن صورة كنا نتمناها .

ووزعت الألف جنيه على الرجال الخمسة الذين كانوا معنا ، وقسمت الألف الثانية بينى وبين يعقوب الزنط ، والنحاس باشا انبسط منى جداً وقال : أنت دخلت الوفد أم لم تدخل ؟ .

- أنا وفدى بطبعى ياباشا ، ولكنى أتمنى أن تعلن دولتك أننى عضو فى الوفد .

وقال النحاس : يامكرم ، المعلم الجوهري من الآن عضو فى

الوفد ، قوموا بإعلان ذلك في الجهاد والبلاغ ، وإذا كان يريد أن نرشحه للبرلمان في أى دائرة فأرجو أن توافقوا . هذا رجل شجاع . إنه رجل نادر !.

ثم قال لرجائى بك : أنت مبسوط الآن ؟ .

- جداً يادولة الباشا ..

— أنت الآن تضمن أنك ستكون عضواً في البرلمان عن بنها ، سنعلن ذلك اليوم .. تتعدى معايا النهاردة ، أتمنى ذلك .

وقال لمكرم : رجائى بك يتعدى معنا اليوم . هذا مكسب عظيم ، الآن سيرى الناس كيف أن حزب الشعب حزب هلس وأن الوفد هو الهيئة الوطنية الوحيدة في مصر .

ولم أكن أعلم أن قضيتنا التالية ستكون يعقوب الزنط نفسه ، وهذا الرجل كان عزيزاً علىَّ جداً ، ولهذا فعندما بلغنا أن نفراً من أهل قريته في الصعيد يريدون قتله انزعجنا جدا وقررت الدفاع عنه بكل ما أستطيع .

ذلك أن والد يعقوب واسمه سليمان الزنط كان متهما بقتل رجل من قرية بنى رافع في مديرية أسيوط ، وأهل القرية قرروا قتل يعقوب انتقاماً لرجلهم ، وأرسلوا رجلين مسلحين إلى القاهرة لكي يتبعاه ويقتلاه ، وعرفت خبرهما عن طريق جواسيسى فناديت يعقوب وقلت له : ماذا نعمل ؟.

- نقتل هذين الرجلين ، ونحن نعرف أين هما ونحن نتتبعهما .

قلت : لا ، نحن لا نقتلها ، نحن نقبض عليهما ، ونجردهما من السلاح ونأخذهما ونرتب غزوة للقريه ، حيث سيرى أهل القرية كلهم أننا ناس لا يستهان بنا ، أريد قوة من عشرة رجال . عليك ترتيب ذلك لأننا سنذهب إلى هناك ونقوم بالغزوة بعد أسبوع أى يوم الثلاثاء القادم ، لابد أن يظل الأمر سراً فلا يعلم بالتفاصيل إلا أنا وأنت . ينبغي أن يكون تسليحنا من أقوى مايمكن لأن الصعايدة ناس أقوياء جدا وأسلحتهم متوفرة .

- حاضر ، تأكد من أن كل شىء سيتم كما تريد .

ورسمت خطتى بغاية الإتقان ، كان غرضى أن أضع حداً لهذا التهديد لحياة يعقوب ، ووضعت خطة حاسمة لغزو القرية وتأديب العائلة التى تريد أن تعتدى على يعقوب . فذهبنا فى سيارتين ، وكان معنا سلاح يكفى لغزو مصر كلها . وكنا اثنى عشر رجلاً ، وبعد الظهر اجتمعنا فى مكان قريب من القرية وأعدنا عدتنا لكى يكون الهجوم فى الصباح الباكر ، فى الفجر لأنه لم يكن من الممكن الهجوم بالليل ، لأن البلد لا كهرباء فيها .

بعد الفجر أكملنا عدتنا ، وكانت وجهتنا منازل عائلة الشوافين التى تريد أن تقتل يعقوب . كان رئيس الأسرة رجلاً فى نحو الستين من عمره ولكنه كما قالوا لنا رجلاً من حديد وانتظرنا حتى عاد مع جماعته من صلاة الفجر وجلسوا يشربون الشاى .

وفاجأناهم مع طلوع الشمس ، كان الهجوم مربعاً فعلاً ، فقد كان رئيس عائلة الشوافين - واسمه عبد الله شعبان الشواف - يشرب الشاي ويضحك مع رجاله عندما فوجيء بنا ندخل عليه والسلاح في أيدينا ، وقلت : كل واحد يفضل مكانه ، لا نريد أن نقتل أحداً ، نحن رجال يعقوب الزنط ، فين الشيخ عبد الله شعبان الشواف !!! .

وقال الرجل : هاأنا أمامكم من أنتم وماذا تريدون ؟ .

- نحن رجال يعقوب الزنط ، وهذا هو أمامكم . لماذا تريدون أن تقتلوه ؟ .

- ومن قال إننا نريد قتله ؟ .

- لماذا تكذب ياشيخ عبد الله ، أنت الذى أرسلت هذين الرجلين لقتله ، لقد قبضنا عليهما واعترفا بالحقيقة ..

- نحن نريد قتله لأن أباه قتل رجلاً من أسرتنا .

- ولنفرض أن أباه قتل رجلاً منكم فلماذا لا تقتلون أباه ؟ .

- لأنه مات ..

- والرجل مات فتقتلون ابنه ؟ .

- هذه عادتنا هنا .

- وهل هذا عدل ؟ .

— نعم ، إنه العدل عندنا .

— هذا ليس عدلاً يا شيخ عبد الله .

— وماذا نعمل ، نترك رجالنا يقتلون ونحن سكوت ؟ .

— لم يقل أحد أن تظلوا سكوتاً ، ولكن اقتلوا القاتل ، أما أن

تسلطوا رجالاً على رجل برىء ليقتلوه لأن لكم ثاراً عند أبيه ..

— وماذا نفعل ؟ .

— أنتم لن تفعلوا شيئاً — نحن الذين سنفعل .

— وماذا تقصدون ؟ .

قلت : سترى .

وهجم رجالنا عليهم ، كان هجوماً عنيفاً مفاجئاً ، وقبضنا على الشيخ عبد الله وأخيه وأثنين آخرين من رؤساء الأسرة . وحاصرنا الأبواب ، وأمسك رجالنا بالأربعة وعبطناهم وهات يا جلد . كانت الجلدات مصفحة بقطع الحديد ، وكان الضرب يقع على أظهر الرجال ، وكل ضربة تهدم جبلاً ، وأغمى على الشيخ عبد الله ، وفجأة فتح الباب ودخلت امرأة طويلة عريضة وقالت : أنا بنت الشيخ عبد الله . ماذا تريدون ؟ هل تريدون أن تقتلوه ؟ .

— نعم ، لأنه كان يريد أن يقتل رجلاً منا .

— تقصد يعقوب الزنط ؟ .

- نعم ..

- لقد قتل أبوه رجلاً من رجالنا .

- أبوه قتل فما ذنبه هو ، أبوه مات رحمة الله عليه ، فما ذنبه هو؟

- وما ذنب هؤلاء الرجال حتى تضربوهم هذا الضرب الشنيع؟

- لأنهم يريدون أن يقتلوا يعقوب الزنط وهو من رجالنا .

- اتركوا الرجال وأنا أقول لكم أننا لن نقتل يعقوب .

- ومن حضرتك؟

- أنا بنت الشيخ عبد الله وأخت القتيل .

- نريد أن نسمع من الشيخ عبد الله ورجال عائلتكم أنكم لن

تعتدوا على يعقوب الزنط .

- أنا أعدكم بذلك ، اتركوا الرجال .

وتركنا الرجال ، والمرأة قامت هي ونساء البيت بتضميد

الجروح . وأفاق الشيخ عبد الله وعرضت مااتفقنا عليه ووافق عليه ،

وقلت : لايد أن تحلفوا كلكم على المصحف بالأ يعتدى أحد منكم على

يعقوب الزنط أو أى رجل من رجالنا ، وبعد تردد قال الشيخ عبد الله

يعنى نترك رجالنا يقتلون ونحن جالسون سكوتا ؟

- وما ذنب يعقوب الزنط ؟

- إنه دم بدم .
- يعقوب لا ذنب له وحرام أن تقتلوا رجلاً بريئاً .
- لقد أقسمنا على المصحف بأننا لن نعتدى عليه .
- أريد أن أطمئن ..
- وماذا نفعل لكى تطمئن .
- هذه السيدة ابنتك
- نعم إنها ابنتى .. لقد مات عنها زوجها .
- أريد أن أتزوجها لكى أضمن أننى أصبحت عضواً من عائلتكم .
- مش ممكن أن نزوج ابنتنا لرجل مجرم مثلك .
- أنا لست مجرماً ، أنا رجل مخلص لصديقى وأدافع عنه .
- وقال أخو الشيخ عبد الله وهو يشير إلى :
- لا يبدو أن هذا الرجل مجرم .
- قلت : أنا من أسرة كبيرة . أنا رجل محترم ويشرفنى أن أتزوج منكم . وهاهى البنت أمامكم فأسألوها .
- نحن لا نسأل البنات .
- وقال أخوه :

- هذا ابن حلال . نزوجه ابنتنا ، وليه لا ؟ .
- وتنتهى التارات بيننا .
- وقلت للبنت : تتزوجيني ياست هانم .
- مايا أمر به أبى .
- وأبوها وافق وعقدنا الزواج فى اليوم التالى وبعد أن عقدنا الزواج تقدم رجل منى وهو يقول :
- الحقيقة أننى لا أريد حرباً معك .
- ولا أنا أريد أى حرب مع أى إنسان .
- إذن فنحن نستطيع أن نتفق .
- طبعاً نستطيع ، كل ماأريده هو أن تبتعدوا عن يعقوب الزنط .
- وكيف ولنا عنده ثأر ؟ .
- ياأخى لقد انتهينا من ذلك الموضوع ، فماذا تريد يا رجل ؟ .
- أنا أخو القتيل .
- وماذا نعمل لك ؟ .
- قال الحاج عبد الله : إنه أخو القتيل يامعلم جوهرى .
- أنتم ناس عقولكم كالحجر ، وكنا نعرف ذلك قبل أن نراكم ، ولهذا قلنا إنه لا ينفع فيكم إلا التأديب .
- ومن الذى سيؤدبنا ؟ .

- نحن .. أنت لا تعرفنا ، أسأل شيخ الشوافين ، ويعقوب الزنط هذا الذى تريد أن تقضى عليه بطل ، وسترون الآن كيف أنه بطل .

- وماذا تعنى ؟ .

- أعنى أنه سيقود حملة لضربك وضرب كل إخوانك .

- لا هو ولا أبوه ..

- إذن فسنهجم عليكم بعد دقائق ، دبروا أمركم ، لقد علمتنا التجارب أننا لا نفلح إلا إذا أدبنا عدونا ، ثم تركتهم ، وعدت إلى رجالى وقلت :

- اسمعوا ، هؤلاء الشوافون لا يستطيعون الثبات لنا . اسمع يا يعقوب ، لا بد من ضربهم ، وأضفت : أنتم تعرفون قواعدنا ، السرعة فى الحركة والضرب العنيف الحاسم ، نحن اثنا عشر وهم خمسون ، فليكن هجومنا شاملاً وسريعاً ، أما الضرب فكلما كانت الضربات عنيفة كلما كان ذلك أعون على النصر .

وقال يعقوب : أو لا بد من ذلك ؟ .

- لا بد من ذلك لكى تنجو أنت بالذات .

وكان شيخ الشوافين قد ذهب ودعا الشباب من أهل قريته لخوض المعركة معنا ، واستطاع أن يجمع فوق الخمسين رجلاً وأتوا فى أيديهم هراوات ومسدسات ونحن هجمنا عليهم كالبرق ، وهم لم يتعودوا على هذه السرعة فى الضرب . كان الرجل منهم لا يكاد

يتحرك حتى نكون نحن قد ضربناه وأخذنا مسدسه ، وأنا شخصياً لم أدر ماذا حدث : هجمت عليهم دون تفكير ، وكانت الضربة منى بعشرة بدلاً من أضرب الواحد منهم في وجهه كنت أخذ رأسه وأضربها في الحائط فيختر إلى الأرض ، لم نطفئ نوراً ولا استعملنا كرسياً . والمعركة أخذت عشر دقائق فروا بعدها بعد أن أخذنا منهم اثني عشر مسدساً وعصيانياً وهرافات وذخيرة للمسدسات وعندما انتهت المعركة وفروا ناديت : يا عم الشواف : ولم يردوا إلا بعد دقائق .

جاء هذا الشيخ وإذا هو قد جرح جرحاً كبيراً في رأسه وقال بصوت ثابت : قيل لنا إنكم قتالون قتلاً .

- نحن أم أنتم ؟ أتدرى من الذى أدار المعركة معكم ؟ إنه يعقوب الزنط ، قلت لك إنه بطل ، وهو نفسه لم يكن يريد قتالكم لأنه رجل عنده ضمير ، والآن هو يريد الصلح معكم .

- أما نحن فنريد مسدساتنا .

- سيكلمكم هو لتروا بطولة هذا الرجل الذى كنتم تريدون قتله غدراً .

وتقدم يعقوب وقد لبس طاقية تحمى رأسه ، وأمسك في يده مسدسين وقال : لماذا كنتم تدبرون قتلى وأنا قريبيكم وابن بلدياتكم .

قال الشيخ أخو القتيل : ألا تعرف ماذا فعل عمك عمار الزنط ؟ .

- لا ، لا أعرف ، وأنا مالى ومال عمى ، أنا أريد أن أصالحكم لكى تروا أننى أحبكم ، ودليلى على حسن نيتى هو أننى سأرد إليكم الآن أسلحتكم على أن تقرروا أنه لاشىء لكم عندى وأننى أعود الآن إلى عائلتنا .

- وماذا نعمل فى الثأر بيننا ؟ .

- انتهى كل شىء الآن ، ولا ثأر بيننا فتعال ياعم وصافحنى وخذوا أسلحتكم .

ومد يعقوب الزنط يده ، وأقبل عم عمار الشواف فصافحه وتعانقا ثم أخذ السلاح وقال : تتغدون معنا اليوم .

فالتفت يعقوب نحوى وقال : ماذا نعمل ؟ .

- موافقون لكى يرى أهل القرية أن مسألة الثأر هذه انتهت . ولن نرد لكم السلاح إلا أمام الناس .

فقال عمار الشواف : أرجوك يامعلم جوهرى ، بلاش حكاية رد السلاح دى أمام الناس ، لأننا لا نريد أن يظن الناس أننا دخلنا معكم فى معركة وانهزمنا ، نريد أن نقول للناس إنكم أتيتم وتراضيتم معنا وصافحتمونا ، ونحن سامحنا يعقوب الزنط ووافقنا بهذه المناسبة على زواجك أنت من ابنتى .

ثم اقترب الرجل منى وقال : نتكلم فى هذا الموضوع فيما بعد .

وبعد قليل قال : يامعلم جوهرى أنت فتوة ، وكما رأيت الآن أنت تعرف كيف تكسب المعارك وقد تصالحننا الآن وأصبحنا نسايب .

قلت : موافق ، المهم أن نخلص من مسائل الثأر هذه .

وجلس الرجل وطلب قهوة ثم قال : يامعلم جوهرى أنت فتوة ، وكما رأيت الآن أنتم ماهرون جداً فى المعارك .

- ماذا تريد أن تقول ؟ .

- أريد أن أقول إن لنا ثأراً مع قرية مجاورة هى قرية أبو حميدة ، والحميديون يعتدون دائماً على أرضنا ونحن نريد أن نكسر أرجلهم .

- ولماذا لا تكسرون أنتم أرجلهم ؟ .

- هذا يثير مشاكل وثارات لا تنتهى ، ولكن إذا قمتم أنتم بهذا العمل انتهى كل شىء ، ولم يعد الحميديون إلى مهاجمتنا .

- مع الأسف نحن لا نستطيع أن نفعل ذلك .

- لماذا ، أستم فتوات ؟ أو لست أنت نسيينا .

- بالذات لأننا فتوات فنحن لا نستطيع أن نفعل ذلك ، الفتوة يا حاج شواف رجل أمن .. رجل نظام ، والذى تطالب به أنت الآن هو أن نعتدى على ناس لم يعتدوا علينا ، اصرفوا النظر عن ذلك إذا كنتم تريدون أن تصالحننا وتستعيدوا سلاحكم .

وقال الرجل : يبدو أننا لم نكن نفهمكم .

- أفهمتمونا الآن؟ .

قال : نعم .. فهمناكم .

وقال يعقوب : يا حاج شواف ، أنا أريد أن أناسبكم لكي أؤكد الصلح معكم ، وقد سمعت أن لك فتاة جميلة . مارأيك في أن تزوجني إياها؟ ..

- ابنتي أنا .. تتزوج رجلاً قتل منا أبوه رجلاً؟

- ولم لا ..

قال : صحيح ، ولم لا ، انتظرنى حتى أعود إلى بيتى وأتحدث مع امرأتى في ذلك الأمر ، أنت تعرف أننا لا نزوج بناتنا إلا بعد بحث وتفكير .

قال يعقوب : أنا واثق من أن السيدة حرمك ستوافق على أن أتزوج إحدى بناتك ، وأنا أعرف أن عندك بنات كثير .

قلت لهم : أراكم قد دخلتم في مسائل عائلية ، ويمكننى الآن أن أنصرف .

قال يعقوب : غير ممكن يامعلم أن تدعنى هنا وحدى وتمضى .

- أتخاف؟ ..

- ليسست مسألة خوف ، أنت تعرف أننى لا أخشى من

مخلوق ..

- إذن أنا أمضى .

وقلت للحاج الشواف :

- أنا ماضى الآن وسأخذ معى زوجتى .

والتفت الرجل إلى زوجتى وقال : مع السلامه يامعلم .

وقبل أن أمضى قلت ولكنى أريد منك ألفى جنيهه .

قال الرجل : ألفى جنيهه ؟ لماذا ؟ .

- أنت ترى أننا دخلنا المعركة معكم ، وكنا نستطيع أن نمضى بالسلاح ، ولكننا رددنا إليكم الأسلحة ، هذه النقود ليست لى . إنها لرجالى وعددهم عشرة ، وأنا من قواعدى أن أعطى رجالى أكثر ماأستطيع . أنت تعرف أنهم أبطال ، وقد رأيت كيف يقاتلون . هذه النقود لهم .

- آسف ، لا أستطيع أن أدفع .

- بل لابد أن تدفع وإلا هجم الرجال على قريتك ونهبوا كل مااستطاعوا نهبه .

وقال يعقوب للحاج الشواف : اعطه يا حاج ، هؤلاء جبابرة إذا هجموا ، اشتر قريتك .

- طبعاً أنت مع رئيسك .

- هذا طبيعى ، ولكن هذه النقود ليست لرئيسى ، إنها ستكون ثمناً لقريتك .

- هل هم حقاً يستطيعون الهجوم علينا؟ ..

- طبعاً ، إنهم يستطيعون غزو الصعيد كله .

- أمرى الله .. سأعطيك هذه النقود على ألا يعلم بأمرها أحد ..

ياولد ياحسن .. هات لى ألفى جنيه من رفاعى أفندى ، وأنت خذ النقود والزم الصمت ! وأخذتها ومضيت تاركاً يعقوب الزنط ليرى ماسيتم فى أمر زواجه .

ووزعت النقود على الرجال ، وأحسست وأنا عائد إلى القاهرة أن رجلى تؤلمنى ، بل أحسست أن المرض دخل فى مرحلة خطيرة . كانت رجلى كلها خدرة أو « منملة » .. كما نقول ولكن الألم كان شديدا جداً فى سمانة الرجل ، فقلت لبكرى ، وكان ثانى رجالى بعد يعقوب الزنط : بكرى .. خذنى إلى المستشفى .

- أى مستشفى؟

- القصر العينى ، رجلى عادت إلى المرض ، وهى الآن أسوأ .

قال - ولكنهم لن يدخلوا المستشفى رجلاً غريباً ، أنت تعرف القصر العينى .

أنت ستأخذنى هناك إلى الدكتور القلى ، فهو الذى يعالجنى ، وأنا أنام فى جناحه فى المستشفى .

وأخذونى إلى المستشفى وكان الألم قد بلغ الغيبوبة ، وقبل أن أدخل فى الغيبوبة سمعت صوت الدكتور قلى يقول : لا تخف يا معلم جوهرى ، خير ..! كله خير !.

تحسنت حالى بعد أيام ، وفجأة دخل يعقوب الزنط ، فدهشت  
وقلت : إيه يا يعقوب ؟ نقول مبروك ؟.

— لا مبروك ولا حاجة ..

— ليه لا سمح الله ؟.

— امراة الحاج الشواف رفضت زواج ابنتها منى ، وقالت :  
يستحيل أن أزوج ابنتى رجل « قتال قتلا » .. وعواطلى كمان .

وأصابنى ذلك بألم شديد ، فقلت بعد تفكير قصير .. مين يعرف  
يمكن عندها حق ، أصل شغلاتنا دى حاجة كبيرة ولكنها وحشة ،  
صحيح أننا أقوياء وأغنياء ، ولكننا فى الحقيقة عواطلية ..

ثم عدت أفكر طويلاً وأخيراً قلت فى نفسى : ولو ! عواطلية  
عواطلية ، لن أترك شغلاتنا هذه مع أنها شغلانة خطر .

وقال بعد لحظات صمت : معلم جوهرى ، ابحت لى عن  
عروسه .

— من عينى دى وعينى دى .

— وتكون قمر .

— أجمل بنت فى مصر ، وسأقيم لها أعظم فرح رأيناه .

ثم قلت : توكل على الله سأكلم لك بنت باشا .

— لا أريد باشوات . سأتزوج بنت ممثلة ، أنت تعرف أن نجمة

السينما جمالات الشريف لها بنت كالقمر .

- أتريد أن تتزوجها؟

— نعم ، فنحن الذين نعمل في الفتونة لا يمكن أن نتزوج بنت

ناس .

- بنات الممثلات مش بنات ناس؟

- ليس قصدى ، ولكن قصدى أنهن مثلنا يعشن دائما خارج

المجتمع ، يقولون إن جمالات الشريف نجمة السينما كانت في أول

أمرها بائعة يانصيب .

- صحيح ، وكان اسمها خضرة السيد حسنين .

- يعنى أنها ليست من عائلة؟

— مفيش في الدنيا إنسان من غير عائلة .

- المهم أنك تفهمنى ..

— نعم أفهمك . اذهب أنت الآن ودع لى مسألة زواجك من بنت

جمالات الشريف .

وخرج يعقوب ، وجعلت أفكر وحدى وأنا في السرير : صحيح أن

الفتونة لا شىء ، فهى ليست شغلانة ثابتة مثل الوظائف المعروفة ،

إنها عمل بلطجية وأنا كنت ابن ناس محترمين ، كنت ابن أسرة من

كبار أسر الجواهرجية وكنت مفلساً ولكنى كنت محترماً ، والآن أنا

صايح ، غنى وقوى ولكنى صايح ومريض ، أنا لا شىء ، لابد أن أترك الفتونة وأعود إلى التجارة ، وتذكرتُ منسى العطار ؟ ألسنت صاحب محل من أكبر محلات العطارة في البلد ؟ حقا إننى غبى ! لقد جاءنى منسى مراراً وحذرنى من أن المحل سيفلس إذا لم ألتفت إليه لابد أن أرسل إليه لياتينى ، سأعطيه ألف جنيه ليجدد المحل . سأترك الفتونة وأعود إلى العطارة .

\*\*\*

وخرجت من المستشفى بعد أسبوعين ، لقد تحسنت رجلى ولكنها لم تشف . إن مرض الفيل لا يشفى ، إنه يهدأ فقط ثم يتجدد معلهش ، ربنا كريم وقادر على شفائى .  
وبعد أسبوع فى بيتى قلت لأم عبد الحميد : اذهبى إلى منسى العطار .

فنظرت إلى طويلاً ثم قالت : منسى العطار ؟ الآن فقط تذكره ؟  
البقية فى حياتك .. قلت : مات ؟ .

- نعم ، مات من سنة .

- ولم لم تقولى لى ؟ .

- قلت لك بدل المرة مرات ، ولكنك مشغول دائماً بالفتونة وبالسياسة ! .

قلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. والمحل ؟.

- المحل موجود ، لقد أفلس ولكن مفتاحه عندي .

قلت : إن شاء الله نذهب إليه معاً .. دعى المفتاح عندك ، واسألني

لى عن صنايعى عطار محترم يعمل عندي .

- حاضر ..

- ربنا يحضر لك الخير .. صدقيني يأأم عبد الحميد ، أنت وش

الخير فى كل شىء فى حياتى ..

- ولكنك تنسانى ..

- لا يمكن أن أنساك ياست الكل ..

- ياما قلت لك .. تترك الهباب ده الذى تسميه الفتونة وتفتح

محل العطاره ! خسارة .

قلت : هانحن قد ضيعنا عم منسى أرجو أن يعوضنى الله فيه ،

وربنا يفتح علينا وإن شاء الله تصبح عطارتنا أكبر عطارة فى مصر .

- ربنا يسمع من بقلك .

وخطبت نيفين بنت جمالات الشريف ليعقوب الزنط ، ودفعت

مهراً ألف جنيه ، وأجرت ليعقوب شقة فى جاردن سيتى وفرشتها له

وعملت له أعظم فرح ، ورقصت فى الفرحة نجمات الرقص فى مصر

وغنت فيه أكابر المغنيات .

وليلة الفرح قلت ليعقوب : عسى أن يشغلك الزواج عن الفتونة .

- فشر ! هذه أعظم شغلة في مصر ..

- وامراتك موافقة؟

- طبعاً .. اسمع يامعلم .. لا بد أن نقوم بالعملية الكبيرة التي حدثتك عنها بعد أسبوع هل تذكرها؟

- نعم أذكرها ، ولا أدري لماذا لا تميل إليها نفسى ، أنظرنى أسبوعاً أفكر وأدرس ، ولا أدري لماذا لا تميل إليها نفسى .  
قال : خذ أسبوعين ..

وبعد أسبوعين قلت له : نتحدث الآن في فكرتك .

فابتسم واعتدل في مجلسه وقال : أتعرف محل توماس ووكر؟

- تاجر الأدوات الرياضية الإنجليزية : نعم أعرفه ، وفيم تفكر؟

- أفكر في مهاجمته ونهبه .

قلت : لا بد أنك مجنون ، هذا محل لو هاجمناه لكان معنى ذلك إعلان الحرب على بريطانيا .

- ولكن فيه ملايين ..

- وهل تستطيع الهجوم عليه؟

- وعلى أبيه .. سأرتب العملية وأقوم بها مع الرجال .

- ولا بد أن أكون معكم .

- لا .. أنت تستريح هذه المرة .

- لا يمكن .. أنت تعرف أن هذا المحل محروس ومسلح ..

وبدونى لن تخرجوا من معركة الهجوم على هذا المحل سالمين .

- أنا أعرف أنها عملية خطيرة جدا ، ولكنى سأقوم بها مع

الرجال وحدى ..

- لا يمكن .. لا بد أن أكون معك .

قال : كما تشاء .

- إننى أنا الذى سأدرس لك الخطة وأشرف على الهجوم ،

لاتنسى أن هذا المحل محروس بنحو عشرين جندياً وضابطاً

بريطانياً يلبسون ملابس مدنية ، وكلهم مسلحون بالبنادق

الأتوماتيكية .. لا بد من خطة محكمة ..

- اعمل لنا الخطة ، ونحن تحت أمرك فى كل شىء .

ودرست المحل على مهل ، ذهبت إليه واشترت أدوات رياضية

مرة ومرات . درست رسم المحل وعرفت أين يقف الجنود الحرس .

كان لا بد من الهجوم على المحل بالنهار لأنهم يقفلونه بأبواب من

حديد بالليل .

وبعد أن درست الخطة قلت ليعقوب : لن نستأجر أى إنسان

من خارج جماعتنا .

- أتظن أننا كفاية ؟

- كفاية بشرط أن نتقن تنفيذ الخطة ، وكل واحد منا لابد أن يكون قد تدرب على إطلاق النار ، والعملية كلها لابد أن تتم في نصف ساعة ، وقد أصر يعقوب على أن يكون هو قائد العملية ، وأن يدخل بنفسه مع اختصاصى الخزائن ويفتح الخزائن ويأخذ كل مايجد من المال والمجوهرات .

واخترنا أن يكون الهجوم يوم الأربعاء لثلا يكون هناك زبائن مصريون كثيرون .. ويكون الهجوم بعد الظهر .

ويوم الهجوم أجرنا سيارتين : واحدة تاكسى وواحدة نقل ، واحدة تقف على أول الشارع - شارع المناخ - من هنا والثانية تقف في ميدان الأوبرا . وتسלحنا جيداً ، وكانت الخطة أن أقود أنا الهجوم حتى نضرب الحرس ونفتح الطريق - وبعد ذلك يدخل يعقوب مع ستة رجال ويضرب ويقتل كل من يعترض ثم يفتح الخزنة ويأخذ كل ما فيها ويخرج بما معه إلى سيارة النقل وأنا أخذ بقية الرجال إلى التاكسى .

وكان الهجوم عنيفاً ، أطلقنا الرصاص على مدخل المحل ، وهرب الزبائن ، ثم بدأنا الدخول ووجدنا أنفسنا أمام خمسة من الإنجليز المسلحين بالبنادق الآلية ، وبدأت المعركة قتلنا اثنين من الإنجليز ، وهم قتلوا منا اثنين ، وأنا كنت ضمن المهاجمين ، وملكنا نواصى المحل من الداخل ، ودخل يعقوب واتجه إلى الخزينة وفتحها وأخذ

كل مافيهها وملاً حقيبتين كبيرتين . ورجالنا نهبوا أدوات رياضية من كل صنف واتجه ثلاثة من رجالنا إلى سيارة النقل بالمنهوبات ، وأنا انتظرت حتى نهاية النهب ثم أمرت الرجال بالإسراع إلى التاكسى ، ويعقوب وضع الحقيبتين في سيارة النقل ثم عاد إلى المحل ، وباليته ماعاد ! فقد أصابوه في مقتل ووقع على الأرض ، أسرعت إليه ، والرجال حملوه إلى التاكسى ، واتجهنا بكل ما معنا إلى مقابر الإمام حيث كنا أعددنا المخابىء .

كانت الساعة الثامنة مساء ، وكان كل شىء قد انتهى - ضربنا الإنجليز ضربة رهيبية ، ولكن ياخسارة يعقوب مات .

ليلتها صلينا عليه ودفناه وأخذنا المنهوبات ، وكانت شيئاً عظيماً جداً ، وأنا انتقلت في سيارة النقل إلى المقابر ، وقلبي كان يبكى على يعقوب على الرغم من أننا نهبنا بملايين ، وكان أمل عظيماً في أن يفيق ، ولكن يعقوب مات ، وهو عندى يساوى ملايين وملايين ، وانكسر قلبى عليه ، لم يكن قد مضى على زواجه عشرة أيام ، وقد انتصر في تلك المعركة ، ولكنه مات ، عليه ألف رحمة من الله .

زرت امرأته في البيت ، وكانت معنا حلوة أى خيرة ، ولكنك لا تتصور حزن امرأة على زوجها الذى يعجبها بعد عشرة أيام من الزواج ، يومها لم يكن معى إلا مائتان وخمسون جنيهاً ، أعطيتها لها، قلت لها : إن هذا شىء مؤقت وأننى مستعد لكل ماتطلب .

مسكينة كانت حزينة جدا ، وقالت وهى تبكى : مات .

- نعم مات عليه ألف رحمة من الله ، ولكن مثله لا يموت ، لقد

مات فى معركة مع الإنجليز أعداء مصر ، إنه شهيد .

- وماذا أعمل أنا الآن ؟ .

- تعتمدين على الله ، وأنا عندى مال ، لك كل ماتطلبين .

قالت : لست فى حاجة إلى مال ، إن أمى بخير والحمد لله ، وأنا

وحيدتها ومالنا كثير ، ولكن المشكلة أننى ربما كنت حبلى .

- هذه بشرة خير ، أنا ولى أمر الطفل أو الطفلة .

- حسناً ، سأعتمد على الله ثم عليك .

قلت لك : توكلى على الله ، ثم على ، وسكتت وخرجت .

لا يعلم بألمى لموت يعقوب إلا الله سبحانه وتعالى ، كان ذراعى

اليمنى ، ثم إنه كان إنساناً حقاً ، ومكثت أسابيع لم أعرف أين أنا

ولا ما أنا فاعل ولا ماذا أصنع ، وآلام رجلى زادت وذهبت إلى

المستشفى حيث أعطونى حقناً ثم عدت إلى البيت .

وكنتم أتوقع أن القيامة ستقوم فى البلد بسبب ضربتنا للإنجليز

وبالفعل قامت يوماً واحداً ، الصحف كلها نشرت الخبر ، ووصفت

ماحدث على قدر ما استطاعت ، طلبة الجامعة تظاهروا يوماً ، اتضح

لى أننا قتلنا ثلاثة بريطانيين لا اثنين فقط ، ولكن الجرائد سكتت

بعد ذلك ، ولم يعد أحد يتكلم عن هذه الضربة الفريدة فى بابها ،

وفهمت أنا ما الذى حدث ، وقلت فى نفسى : إذا كنا قد نهبنا أغنى محل إنجليزى وقتلنا ثلاثة من الإنجليز فإن المسألة بيننا وبين الإنجليز أصبحت حرباً ، والإنجليز خسروا المعركة معنا ونحن أعداؤهم ، وسمعنا أنهم غير متأكدين من شخصية المعتدين ، فصمتوا ومضوا يبحثون حتى إذا وضعوا أيديهم على المسئولين ضربوا ضربتهم القاتلة .

وقالت أم عبد الحميد : اسمع يا معلم : إنك لا ينبغي أن تقيم هنا .

- تريدان أن أذهب إلى القرافة .

- نعم ، أنت هناك آمن ، اذهب إلى هناك مع جمعة وأنا أظل هنا .

- ماذا ستعملين ؟

- سأتصرف .

وكنت أعرف أنها دائماً تتصرف على أحسن ما يكون ، فذهبت إلى القرافة ، كنا نقيم هناك فى قبر لا بأس به ، كان فيما مضى قبراً لإحدى الأميرات ، كان غرفة واسعة مبطنة بالرخام تحت الأرض ، كان القبر فى وسطها ، وكنا نستطيع أن نعيش على راحتنا ، حفرت حفرة كبيرة ووضعت الأموال والجواهر فيها ثم سويتها بالأرض وعشنا فى المقابر أياماً .

وكانت أم عبد الحميد ترسل لنا الطعام بعد منتصف ليل كل

يوم ، بل إنها أرسلت إلينا مراتب وبطاطين لننام ، ومضى نحو أسبوع ، وفي ذات ليلة أتت هي بنفسها وقالت لى : يبدو أن أحزاب السراى تريد أن تتكلم معك — أرسلوا إلىى وطلبوا أن تحدد لهم موعداً .

- لن أراهم ..

- بل ستراهم .

- يأم عبد الحميد ، هذه مكيدة .

- نعم هى مكيدة ، ولكنها لصالحنا ، سيأتون بعد ثلاثة أيام فتعال لتقابلهم ، سنحرس البيت بالرجال والسلاح ، حتى إذا رأينا منهم شراً قاتلناهم ! وفكرت طويلاً ثم قلت : حاضر يأم عبد الحميد اليوم الخميس ، سأراهم يوم الأحد فاستعدى ، من فجر الأحد أريد أن أستحم وأحلق ذقنى ، وألبس قفطانى الأسود وعمامتى البيضاء وأقابلهم فى أحسن هيئة .

- ليبارك الله فىك .

وبالفعل كنت فى صباح الأحد على أتم الاستعداد لرؤية هؤلاء الناس ، وأرسلوا بالفعل مندوبين من ناحيتهم ، وكان واحد منهم من الباشوات ومعه بعض الرجال ، وقابلتهم فى صالون البيت ، وكنت قد أعددت رجالى وأوصيتهم بأن يقوموا واقفين لى ساعة أدخل ليعرف رجال الإنجليز والسراى مكانتى واحترام رجالى لى ،

ودخلت ، وأتت القهوة ، وقاموا وسلموا عليّ بكل احترام وجلست ،  
وقلت أهلاً وسهلاً !.

- أهلاً بك ياسيد الفتوات .

- ماذا تريدون .

- نحن لا نريد شيئاً ، ولكن جلالة الملك يريد أن تنضم إلى  
رجاله .

- لماذا ؟ أنا لست برجل سياسة .

- لقد سمعت بما حدث ؟.

- وما الذي حدث ؟.

- نهبوا محلات توماس ووكر أكبر محل إنجليزي في مصر .

- سمعت بذلك ، ولكن مادخلي أنا بذلك ؟.

- أنت لا دخل لك ، هذا عمل جماعة مصر الفتاة .. والملك  
خائف .

- مم ؟.

- من هؤلاء الشبان .. شباب مصر الفتاة نقصد أنهم  
متهورون .

- متهورين أو ليسوا متهورين ، دعهم يوروننا شغلهم مع  
السراى .

- يامعلم جوهرى قلنا لك : إن الملك هو الخائف .

- وأين الإنجليز؟

- الإنجليز بعثوا يستقدمون قوات جديدة من بريطانيا .

- ليحاربوا مصر الفتاة؟

- أجل وليحاربوك أنت ..

- وأنا مادخلى؟

- يقولون : إنك نصير الوفد .

- ربما ، ولكنى رجل واحد .

- ومعك جيش .

- أتسمون عشرة رجال جيشاً؟

- يقولون إن جيشك عشرة آلاف رجل .

فضحكت وقلت : عشرة آلاف رجل؟ لو كان عندى هذا الجيش

لدخلت فى حرب مع الإنجليز.

- ثم إنك أنت وحدك تساوى جيشاً .

- وماذا تريدون منى؟

- نريد منك أن تنضم إلى الملك .

- أنضم إلى الملك؟ لماذا؟

- لتزيد من قوته ، لاننا سمعنا أن الإنجليز يريدون عزله ومبايعة ابنه .

— فليفعلوا ذلك ، وماذا يهمننا ؟ والولد سيكون مثل أبيه ، والسراى هى السراى .

- جلالة الملك سيعطيك الباشوية .

- وماذا سأعمل بالباشوية ؟ .

وبعد لحظة صمت قلت : اسمعوا أيها الرجال ، أنتم تضحكون على رجل مثلى ، ماهى حكاية الجيش الذى عدده عشرة آلاف ؟ وماذا تقصدون بقولكم : إن الملك خائف وأنا الذى سأحميه ؟ هذا كلام لا يصدقه إلا رجل عبيط .

قال رئيسهم : لا يامعلم ، نحن لا نضحك معك ، نحن جادون ، ولماذا لا تجربنا ؟ .

قل : إنك مستعد للانضمام للملك ونحن نأتيك بالباشوية .

- وماذا سأعمل بالباشوية .

- غيرك يشتريها بعشرة آلاف جنيه .

- غيرى ! ولكنها لا تساوى عندى ثلاثة تعريفة ، سألتكم بالله

إلا تركتمونا ، نحن ناس طيبون وفى حالنا ، ونحن لا شأن لنا بالسياسة فابعدوا عنا .

- على أى حال عندنا أمل فيك ، إن جلالة الملك ينتظر منك الكثير  
وسواء قبلت أم لم تقبل فسينعم عليك بالباشوية .

فانفجرت ضاحكاً وقلت : ياسبحان الله ! أنا باشا؟ المعلم  
الجوهري يصبح حضرة صاحب السعادة الجوهري باشا؟  
وأغرقت في الضحك .

وقالت أم عبد الحميد من الداخل : خد الباشوية يامعلم ! .  
قلت لا يا أم عبد الحميد ! هذه نكبة ولعنة ، لنظل كما نحن  
( ناس طبيين بسطاء ) . ثم قلت للرجال : مع السلامة بقى  
ياإخوان .

وقال أحدهم : سنمضى ، ولكننا نحذرك من الإنجليز ، بيننا  
وبينك أنهم يشكون في أنك الذى قمت بعملية الهجوم على محلات  
توماس ووكر .

- لا أظن ، إنهم يعرفون أننى رجل طيب ولا أغامر بمثل هذا  
العمل .

- سترى .. سلام عليكم ! .

ومضوا ، وأتت أم عبد الحميد وقالت: مش خسارة يامعلم ؟ .  
- أية خسارة؟ .

- مش خسارة الباشوية ؟ .

- لا مش خسارة ، هذه الباشوية نكبة ، إنها لا تنفعنا فى شىء ،  
ثم إن أنصارنا سينصرفون عنا إذا أنا أخذتها .

-والإنجليز؟.

- سنرى ، ربنا يستر ! الآن أعود إلى مدافن الإمام .

- نم هنا الليلة . أريد أن أطهو لك الطاجن الذى تحبه .

- لا يأم عبد الحميد لا أدرى لماذا لم أعد أحب هذا الطعام ،

هؤلاء الرجال لم يأتوا من السراى فقط ، بل من الإنجليز أيضاً ،

هؤلاء هم خدم السراى والاستعمار ، وهم الآن ذاهبون إلى دار

المندوب السامى ، ومن يدرى فربما هاجمنا الإنجليز الليلة ، ولكن

يبدو لى من الرجال الذين كانوا هنا أننى أصبحت شخصية محترمة

فى البلد .

قالت : وأنت فعلاً شخصية محترمة فى البلد ، محترمة جداً .

ثم قالت وهى تبتسم : الآن قم واستحم واسترح ودعك من كل

شئ آخر ، وأكلت أكلاً خفيفاً ، ثم مضيت إلى الفراش .

وبالفعل أتى من دار المندوب السامى مندوب إلى بيتى بعد

انصرافى إلى القرافة ، وقال لأم عبد الحميد : دار المندوب السامى

تريد أن تكلم المعلم .

- المعلم مريض ، ماذا تريدون منه ؟ .

- خيراً ..

- قولوا ، وأنا أقول له .

- لا بد أن نراه .

- اسمع ياسيدى لا أعرف كيف أتصل به ؟.
- اسمعى ياستى ، نحن نريد منه خدمة وسيكون له خير كثير من ذلك .
- أنتم لايجىء منكم خير .
- صدقينا ، سيكون لكم خير منا ، سألناك بالله إلا يسرت لنا رؤية المعلم .
- بعد يومين ترسلون إلى مندوباً وأرجو أن أبلغكم رأيه ، وعندى أمل فى أن أتصل به ولكنى أرجوكم ، لا تتجسسوا على .
- إذا كنت صادقة معنا ، فنحن صادقون معك .
- إذن إلى ما بعد الغد ، فى مثل هذا الوقت .
- وخرجوا ، وأبلغت أم عبد الحميد المعلم فأرسل يقول : قولى لهم إننى سأكون فى البيت بعد غد فى الساعة العاشرة صباحاً وأتوا ، وتقابلنا .
- يامعلم ، أنت تخاف منا ؟.
- لا أخافكم ، ولكنى لا أثق فيكم .
- هذه المرة ستعرف أنك تخطىء وأنا جديرون بثقتك .
- وماذا تريدون ؟.
- اسمع ياسيدى ، لعلك سمعت بالهجوم على محلات توماس ووكر ونهبها .

- نعم سمعت .

- لقد عرفنا من الذى فعل ذلك .

- أما أنا فلا أريد أن أعرف .

- كما تشاء ، ولكننا الآن نخاف على ثانى المحلات الإنجليزية فى

مصر ، ونحن نريد معاونتك وأرجوك أن تعرف أن مساعدتك لنا ستزيد مركزك فى البلد قوة .

فنظرت إلى الرجل الذى قال ذلك وقلت فى دهشة : أنا ؟ أنا الرجل البسيط الذى أعيش فى حالى تفكر فى أننى أستطيع معاونة الجبابرة ؟.

- إنها مساعدة بسيطة ؟.

- وماهى ؟.

- هناك جماعة من اللصوص ينسبون أنفسهم إلى الفتونة

يفكرون فى العدوان على محلات مورامز .

- هذه المحلات الضخمة عند الخازندار ؟.

- نعم ، هى .

- إذن لماذا لا يلجأ أصحابها إلى البوليس ؟.

- لاندري ، ولكننا سمعنا أن البوليس يخاف على سمعته .

- إذن فليساعدهم الجيش الإنجليزى .

- هذا لا يجوز .

- على أى حال ، هذه محلات لا تضر المصريين ، إنها تتبعهم كل شىء بأسعار أقل بكثير من غيرهم ، ومساعدتهم فى هذه الحالة مساعدة للمصريين .

- إذن فأنت مستعد لمساعدة الإنجليز .

- الإنجليز لا ، ولكن لا مانع عندى من حماية المصريين .

- ولكن هل هذه هى كل المعلومات التى لديكم ؟ .

فقال الرجل : نستطيع أن نأتيك بمعلومات أخرى .

- أحب أن تعرفوا أننا حتى لو اتفقت فأنا لن أعمل معكم ، إننى أعمل دائماً مع رجالى ، وأعرض عليهم كل شىء ، فإن وافقوا قمنا بالعمل أو لا يوافقون وهنا لا أقوم ثم إننى أساساً لا أدخل فى صراع مع الإنجليز .

قال أحدهم : أتخاف من الإنجليز يا معلم ؟ .

فنظرت إليه طويلاً ثم قلت : ومن فى مصر لا يخاف من الإنجليز ثم إننى لست رجل سياسة ، إننى رجل فى حالى .

فقال لى رئيسهم : صدقتنى يا معلم ، إننا صادقون فى كلامنا معك .

- ممكن جداً ، ولكن هل سمعتم فى حياتكم أننى دخلت ذات مرة فى صراع مع الإنجليز ؟ .

- لا لم نسمع ، ونحن أيضاً لن نسألك الدخول في صراع معهم .

- إذن ماذا تريدون ؟ .

- التعاون معهم .

- مع من ؟ .

- مع الذين سيعتدون على المحلات الإنجليزية ونرجو أن توافق .

- إذن فاذهبوا إليهم .

قال رئيسهم : قلت لك إن أولئك الرجال يريدون مهاجمة محلات مورامز على أن تحول بينهم وبين ذلك .

ودون تفكير طويل أقول : إننى لا أريد أن يهاجم أحد هذه المحلات ، إنها إنجليزية بالفعل ، ولكنها تساعد المصريين بصورة أحسن بكثير من المحلات الإيطالية مثلاً ، ولكن لا بد أن أستشير رجالى قبل الموافقة .

- نحن نقول لك هذه مجموعة من اللصوص الذين يسمون أنفسهم فتوات ، يرسمون خطة لمهاجمة محلات مورامز ونهبها . ولدينا معلومات أخرى ، ولكننا رأينا أن نعرض الأمر عليك فلا أحد في مصر يستطيع الوقوف في وجه أولئك الناس إلا البوليس وأنت ، فأما البوليس فقد أخبرناه بما لدينا ، ورجاله يبحثون ، وبعضنا

فكر في أن يعرض الأمر عليك فأنت رجل شهم ، وتعرف أن هذه المحلات تعامل المصريين بأمانة ، وبعضنا يظن أن أولئك اللصوص إذا عرفوا أنك ستشترك في الموضوع خافوا وتوقفوا .

قلت : ابحثوا وهاتوا لى معلومات أكثر ، لأن العملية خطيرة ، ولا أستطيع الدخول فيها إلا إذا كانت لدى معلومات أكثر وأدق من هذه ، ثم لا بد أن يوافق رجالى وأعتقد أن الحكومة إذا وقفت معى ، ووافق رجالى فإننى سأكون مستعداً للعمل .

قال رئيسهم : هل تستطيع حماية هذه المحلات من أولئك اللصوص ؟.

قلت : حماية المحلات لا ، ولكن حماية المصريين الذين يشترون من هناك .

- هذا يكفينى ، سنوافيك بمعلومات أدق إذا وافقت على القيام بهذه العملية .

قلت : سأحتاج إلى سلاح ، أنا فى حاجة إلى سلاح .

- سنعطيك ماتحتاج إليه من سلاح .

- حسناً ، إذن فأنتم تفضلون الآن لى تعودوا إلى بالمعلومات والأسلحة ، ونحن لدينا تدبير وتفكير .

- اتفقنا ..

ومضوا ، وجعلت أفكر فى الموضوع ، فوجدت موافقة من أم

عبد الحميد ، وقال بكرى الذى أفكر فى أن أجعله كبير رجالى بعد يعقوب والذى استمع إلى الكلام : يبدو لى أن هذه جماعة من اللصوص يامعلم .

- ربما ، ولكن هل هذا يمنعنا من حماية المصريين منهم .
- بالطبع لا يمنعنا ، إذا كنت أنت موافق فنحن مستعدون أن نزيل هؤلاء اللصوص من الوجود .
- وانصرف الرجال وخلوت إلى أم عبد الحميد فقالت : لا أدرى إن كنت أستطيع أن أقول لك شيئاً ؟ .
- ماذا تريد أن تقولى ؟ .
- أريد أن أقول : إنك لى هذه المرة . أراك وافقت بسرعة على مثل هذا العرض .
- ففكرت لحظات ثم قلت : الحق — وهذا كلام بينى وبينك فحسب ، إننى أخاف من الإنجليز .
- لماذا ؟ هل وقع بينك وبينهم شر ؟ .
- أنت تعرفين حكاية توماس ووكر ، وهؤلاء الإنجليز فيهم خبث وطول بال ، وأنا أريد أن أبعدهم عنى .
- وهل تظن أن أولئك الرجال الذين كانوا هنا أتوا من ناحية الإنجليز ؟ .

- أحسّ بذلك ، ثم إننا سنستشير رجالنا ونبحث ونفكر .

قالت : على أى حال ، المسألة تحتاج إلى حذر .

وانقضى نحو أسبوع ورجالى يبحثون فى كل مكان ، والرجال أتونا بالسلاح والأموال فناديت بكرى الذى كنت أنوى أن أتخذه مساعداً لى بعد يعقوب ، وقلت له : ماذا تعرف عن محلات موارد؟.

- هذه نستطيع العمل على حمايتها إذا أردت ، لأن هذه المحلات مكونة من خمسة أدوار ، وهى تقدم للمصريين خدمات كثيرة : ملابس وأقمشة وموبيليا وكل شىء .

- إذن فأنتم مستعدون للقيام بهذه العملية ؟.

- إذا كنت أنت مستعداً فنحن مستعدون ، والذى نراه من الآن أننا لا يمكن أن ندع اللصوص ينهبون هذه المحلات .

قلت للذين أتوا بالسلاح والأموال ؟ ولكنى لا أستطيع التدخل لحماية هذه المحلات إلا بعد تفكير طويل ودراسة شاملة . وهذه مسائل أدرسها أنا مع رجالى ، وقد أقوم بها أو لا أقوم ، ثم إننى لا أريد مهاجمة الإنجليز .

قال رئيسهم : أتخاف من الإنجليز ؟.

قلت : نعم أخاف من الإنجليز .

ونحن أيضاً نخاف من الإنجليز ، فهل نفهم من ذلك أنه يمكن أن تقوم بالعملية ؟.

- أدرسكم أولاً ثم أقرر ، وكما قلت لكم أنا لا أريد مهاجمة الإنجليز .

سترى أن هذه العملية ناجحة ، ثم إنك تظن أننا رجال الحكومة نحن لسنا رجال الحكومة ، نحن من رجال البوليس وقد سمعنا أن بعض الفتوات يريدون نهب محلات مورامز فقلنا إننا لن نجد من يساعدنا على الوقوف في وجه أولئك الرجال إلا أنت ..

- إذن دعونى أفكر ، ثم أقول لكم ما يستقر عليه رأيى .  
وبالفعل درست الموضوع ، واتصلت بصديقى المأمور ، فاستفهم هو من رؤسائه وقال لى :

بيدو يامعلم أن هذا صحيح ، هناك فتوات لصوص يريدون الهجوم على محلات مورامز .  
- وما رأى الحكومة ؟ .

- الحكومة مستعدة لمساعدتك إذا وافقت على الوقوف في وجه هؤلاء اللصوص هذه عملية سرقة كبيرة ، ونحن لا نريدها .

- إذا كانت الحكومة مستعدة للوقوف معى فأنا مستعد ، لقد عرفت من الذى يريد مهاجمة محلات مورامز ، إنهم « شوية حرامية » وليسوا فتوات .

- هل تستطيع حماية المحلات منهم ؟ .  
- حماية المحلات لا ، ولكن حماية المصريين الذين يشترتون من هناك .

- إذن فنحن سنعطيك تاريخ الهجوم ووقته ، وأنت تستعد وتواجه أولئك اللصوص .

- لا مانع عندي ، ولكنى فى حاجة إلى سلاح .

- كل ماتريد .

- عشرون مسدساً وذخيرة وبندقية أتوماتيكية .

- سيكون ذلك لك .

- وخمسة آلاف جنيه .

- بل عشرة ..

- ومتى ترسلون ذلك ؟ .

- غداً إن شاء الله ! .

- وغداً بعد الظهر أبدأ الاستعداد .

- وناديت بكرى كبير رجالى بعد يعقوب وقلت له :

أريد أن أعتمد عليك فى عملية صغيرة .

- وأنا فى الخدمة .

- المسألة تحتاج إلى شجاعة .

- لك على عهد الله أن أبيع نفسى .

قلت : حسناً ، إن عمليتنا الآن هى حماية محلات مورامز من

جماعة من اللصوص التى تتستر وراء الفتونة .

- ولكن هذه المحلات إنجليزية ؟.

- طبعاً ، ولكنها تخدم المصريين ، ولهذا وافقت على القيام بحمايتها ، وأنت ستتولى ذلك وسأقدم لك عشرة مسدسات وبندقية متراليوز وألف جنيه لك ، ومائة جنيه يومياً لكل واحد من زملائك ، كويس ؟.

- كل ما يأتى منك كويس .

- أريد أن تمرن رجالك على استعمال السلاح ، وتنشئون لأنفسكم مركز حراسة فى الدور الأول من المحل .  
- أوامرك .

- ولكنى أريد أن أطمئن على أنكم متمرنون على استعمال السلاح .

- أصدر إلينا تعليماتك .

- تأتون كلكم إلى البيت غداً ، سيكون عندى ضابط ليعلمكم كيف تستعملون السلاح ، كم أنتم ؟.

- تسعة .

- أريد أن تكونوا خمسة عشر ، لابد أن يكون واحد منكم بالسلاح فى كل دور ، وسننشىء لكم اتصالاً تليفونياً داخلياً .  
- أوامرك .

قلت : اذهب الآن وتأتيني غداً ، وهذه ثلاثة آلاف جنيه : ألف لك وألفان للرجال .. والمهم ألا تقول كلمة لأحد ، حتى رجالنا لا ينبغي أن يعلموا حقيقة ما سنعمل .

وبالفعل قمنا بتدريب الرجال ، وذهبت بنفسى ، ورأيت كيف نقوم بحراسة المحل ، وأطمأننت . لم يعجبني معظم رجالى ، ولم يكونوا من النوع الذى أستطيع الاعتماد عليه ، ولكن لم يكن عندى أحسن منهم ، وعدت إلى بيتى ، وتركت القرافة .

ثم فوجئت أن أربعة من الفتوات يزورونى فى البيت ويقولون مش عيب يامعلم ؟ .

- ماهو هذا العيب ؟ .

- تحرس محل إنجليزى .

- لا مش عيب ، هذا المحل إنجليزى صحيح ، ولكنه يخدم المصريين ، أنتم تعرفون أنه غاص بالمصريين من الصباح إلى المساء وأسعاره ممتازة جداً .

- على أى الأحوال نحن غير راضين عما تعمل .

- لايهمنى ، سأستمر .

- هذا بدلاً من أن تقول : إنك مستعد للتعاون معنا على نهب المحل ؟ .

- ولماذا نذهب هذا المحل أو غيره ؟ هل نحن لصوص ؟ .

- لسنا لصوصاً ، ولكن هذه شغلتنا .

- وماهى شغلتنا؟.
- مثل هذه .. الهجوم على المحلات الكبيرة .
- ونهبها ، أليس كذلك؟.
- نعم ، وماذا فى ذلك؟.
- فيه كل شىء ، فيه أن الفتوات يصبحون لصوصاً .
- دعنا من ذلك الكلام الفارغ .
- لا ، أنا لا أدع هذا الكلام لأنه ليس فارغاً .
- شوف يامعلم جوهرى ، لعلك لا تعلم أننا نخاطبك باسم خمسة فتوات .
- ولو كانوا خمسين .
- يعنى أنك تتحدى فتوات مصر .
- لا ، أنا لا أتحدى الفتوات ، أنا أتحدى اللصوص ، اسمع ياأخيـنا ، أنا أعرف أنكم لا تفرقون بين الفتونة واللصوصية ، أما أنا فأفرق ، الفتوة رجل أمن وقانون ، إنه رجل يعمل مع البوليس ، ولا يقوم بعملياته إلا ضد اللصوص .
- هل تظن أننا أتينا اليوم لكى نعرف منك ماهى الفتونة؟.
- يبدو ذلك .
- اسمع يامعلم ، لقد اتفقنا نحن الفتوات الخمسة على أن نهاجم محلات مورامز ونهبها .

- لن تفعلوا!.

- بل سنفعل ، لدينا سبعون رجلاً .

- جربوا ! فى أى يوم ستذهبون لهذه العملية ستجدوننا هناك

فى انتظاركم !.

\*\*\*

انصرف الرجال ، وذهبت إلى المحلات ورتبت مركز الحراسة عند الباب ، وجعلت عليه بكرى ونبهته ، وصعدت إلى الأدوار كلها ، وفى كل دور كنت أرى مندوبنا مسلحاً فى مركز فى أحد الأركان ، واطمأننت على أن أسلحتهم معدة تماماً ، ثم قابلت المدير ، كان رجلاً إنجليزياً طويلاً ، ولكنه رفيع كالفتلة ، قال لى : إن أصله لواء فى الجيش الإنجليزى ، وقد أعجبنى أنه كان لديه مدفع رشاش رهيب ، قلت له : عن طريق مترجم : إذا بدأ أولئك الرجال عمليتهم فأرجو أن تفتح الأبواب الخلفية وتخرج الناس بهدوء .

أما مقابلة اللصوص والمعركة معهم فهذا عمل وعمل رجالى .

وبعد خمسة أيام أتوا ، كنت هناك ، كانوا بالفعل حوالى سبعين رجلاً وعلى رأسهم ذلك الفتوة الذى تحدث معى ، قلت له وأنا أمسك بالمدفع الرشاش : انتظر حتى يخرج الناس .

- ولماذا يخرج الناس ، إننا نريدهم هنا لكى تضطرب أمور

الحرس .

- بل ستنتظرون حتى يخرج الناس ، لا تنسى أن هؤلاء الناس مصريون .

- مصريون أو عفاريت ، لن يخرج أحد . دعنا ندخل وإلا فإنك ستكون أول القتلى .

- بل أنت أول القتلى !.

وأفرغت رصاص بندقيتي في جسده ، ووقع إلى الأرض وصحت فليقف كل رجل مكانه ، لنتظر حتى يخرج الناس . يابكرى ابعث من يتأكد من ذلك ، ثم أغلقوا الأبواب الخلفية ، حتى لا يهرب من هؤلاء اللصوص أحد .

وبعد دقيقتين جاء بكرى وقال لى : خرج كل الزبائن وأغلقنا الأبواب الخلفية .

- الآن تفضلوا أيها اللصوص !.

ودارت المعركة . لا أصف لك ما حدث ، أنت تعرفنى إذا دخلت معركة فإننى أنسى نفسى وأهجم وأى رجل يعترضنى كنت أضرب به الأرض ، وبكرى لم يعجبنى فى ذلك اليوم ، الفرق بينه وبين يعقوب كان كالفرق بين السماء والأرض ، كان الخوف ظاهراً على وجهه ، وقد قتل فى المعركة لأنه كان جباناً ، كانت أضخم معركة فى حياتى ، قتلنا أربع فتوات واثنى عشر رجلاً وقبضنا على الباقي وسلمناهم للبوليس ، أصابتنى رصاصة فى ذراعى الأيسر ، لم

يهمنى ذلك ، ظللت أقود المعركة حتى انتهت ، من حسن الحظ أنه ظهر من رجالى شاب كأنه الأسد ، كان اسمه منسى ، منسى طنطاوى ، هذا الشاب قاد المعركة وكان إلى جانبى عندما جرحت . المعركة استمرت ساعتين بعدها أتى البوليس وتسلم المجرمين ، المدير الإنجليزى كان إلى جانبى وقال : انقلوه إلى المستشفى الإنجليزى !.

- لا ، بل إلى القصر العينى .. اسمع يا طنطاوى ، خذونى إلى مستشفى القصر العينى ، هناك ستجد الدكتور القللى ، اسمع ستجد فى جيب بكرى ألف جنيه . خذها فهى من نصيبك ، أرجو أن تحصى رجالنا وترسل الجرحى منهم إلى مستشفى القصر العينى ، وتتولى أنت نقل الموتى إلى بيوتهم ، كم رجلاً مات من رجالنا ؟.

- خمسة ، منهم بكرى .

- حسناً هذه الألف جنيه ستوزع على عائلات القتلى ، بعد أن تفعل ذلك كله ستذهبون إلى بيتى وتبلغ أم عبد الحميد أننى بخير وأننى فى مستشفى القصر العينى .

\*\*\*

وذهبوا بى إلى مستشفى قصر العينى ، هناك عالجنى الدكتور القللى وإخوانه ، وكنت فى أسوأ حال عندما وصلت ، فقد نزف منى دم كثير فأعطونى دماً .

وفي الصباح صحت وقد تحسن حالى ، وجدت أم عبد الحميد إلى جانبي ، سرنى ذلك جداً ، وزارنى مدير المحل الإنجليزى وأعطانى خمسة آلاف جنيه ، أخذتها لكى أزرعها على عائلات القتلى وأدفع تعويضاً للجرحى ، كنت سعيداً جداً بهذه العملية .

كان لهذه المعركة أثر بعيد جداً فى حياتى ، لقد قتل فيها أربع فتوات واثنا عشر من الأعداء ، وفقدنا نحن خمسة رجال ، وإذن فقد كانت هذه معركة عسكرية أو مذبحه لا مجرد معركة فتوات ، لقد مات فيها واحد وعشرون رجلاً ، أما الجرحى فقد بلغوا ثلاثين ، أحسست وأنا راقد فى سريرى فى المستشفى أننى قد تخطيت حدود الفتونة ودخلت فى دور جديد من القتال وأنا لم أكن مستعداً لذلك كان لابد أن أضع حداً لذلك ولكنى كنت متعباً جداً ، فقد عادت إلىّ الأم مرض الرّجل اليسرى ، أحسست أنها الآن تتمدد وتتورم ويحمر لونها ، خفت على نفسى ، وأتى الطبيب وكشف ، لم يعجبنى شكل وجهه بعد الكشف ، لم يقل لى حقيقة حالى ، كما هى عادة الأطباء ، ولكنى فهمت أن حالى سيءٌ ، وكان العلاج الذى أعطانى إياه كثيراً ومعقداً .

بعد شىء كثير من التفكير انتهيت إلى أن حكاية الفتونة هذه لابد أن تنتهى ، فانا لا حمل لى على هذه المعارك الدموية الضخمة ، وها أنا اليوم مريض بمرض عسير فكيف أستمر ؟ تساءلت : ماذا أعمل ؟ إذا أنا تركت الفتونة فماذا أعمل ؟ ومع الأسف أننى فقير ،

لم أكن قد ادخرت مالاً أعتمد عليه ، وجاءتني أم عبد الحميد مرة ،  
فقلت لها : ماذا أعمل يا أم عبد الحميد ؟.

- تستمر في الفتونة ، لقد أصبحت الآن من عظماء مصر ، كل  
الناس يتحدثون عنك وعن شجاعتك .

- ولكنى مريض يارقية .. رجلى هذه ليست على مايرام .

- أرنى إياها ..

وكشفت عن رجلى ونظرت لاحظت على وجهها الخوف الشديد  
وقالت : ومنذ متى وهى على هذا الحال ؟.

- من أيام ، وهى تؤلمنى جداً .

- ماذا قال الطبيب ؟.

- لم يقل شيئاً ، ولكنى رأيت على وجهه أنه غير سعيد ، يبدو أن  
حالة رجلى سيئة فعلاً ، أظن أن هذا هو المرض الذى يسمى داء  
الفيل على أى حال لا تخافى ، نحن نتوكل على الله دائماً ، ولكنى أقول  
لك : إننى لا أستطيع الاستمرار فى الفتونة بعد أن صارت حرباً ، لقد  
مات فى المعركة الأخيرة واحد وعشرون رجلاً ، وهذه المعركة لم تنته  
بعد ، فإن الفتوات لن يسكرتوا ، إنهم أشرار وأقوياء كما تعرفين ،  
ولا يستطيع الثبات لهم إلا رجل كالحديد ، وأنا كنت أستطيع الثبات  
لهم ، ولكن رجلى فى حالة سيئة ولا بد أن أتصرف الآن على أننى رجل  
مريض ، مريض بمرض عضال .

وساد الصمت بينى وبينها . يبدو أن الخوف ملأ نفسها فلم تجد ماتقوله ، اطمأنتت وعرفت أن هذه المرأة تحبني فعلاً ، ولهذا فقد زادتها حالة رجلى تمسكاً بى ، وقد رأيت أنها عندما زارتنى فى المستشفى كان من رأيها أن أستمر فى الفتونة ، ولكنها الآن وقدرات رجلى غيرت رأيها ، أظن أنها لم تعد تتمسك بالفتونة ، ولكنها شعرت بمزيد من الحب لى ، ومضت تفكر كيف تساعدنى ، فنظرت إلى وقالت : على أى حال أرجو ألا تخاف ، إنك لست وحدك فأنا معك وأنا لن أتركك وحدك أبداً ، ودعنى الآن أفكر فيما يمكن أن تفعل . دع هذا الأمر لى ، وركز أنت تفكيرك فى نفسك . أريدك أن تشفى . هذا أهم شىء الآن ، سأعود الآن إلى البيت لأرى ما عندنا وأفكر فيما يمكن أن نفعل ، كيف يمكن أن نحافظ على ماوصلت إليه من عظمة وتنصرف فى نفس الوقت عن هذا النوع الخطر من الفتونة .

وسألتنى عما إذا كنت بحاجة إلى أى شىء ، فطمأنتها وابتسمت وأنا أحدثها لكى تطمئن نفسها ، وأظن أنها أطمأنت ، فقد كانت تثق فى ثقة عظيمة وقبل أن تنصرف سألتنى :

- تظن أننا من الممكن أن نحتاج إلى شىء من المال ؟ اطمئن لدينا مال ليس كثيراً ولكنى أعتقد أن فيه الكفاية .

- لا تشغلى نفسك بذلك ، دعى هذه الأمور لى ، واهتمى أنت بالبيت ومافيه . حاسبى على نفسك واثبتى .

- ثق فى وتأكد أننى بإذن الله حديد .

وحيتنى وقبلتنى وانصرفت ، وأظن أننى لمحت دموعاً فى  
عينها .

كان كل ماحرصت عليه إذ ذاك هو أن تتحسن حالة رجلى - ولو  
مؤقتاً حتى أخرج وأعود إلى بيتى وأنظر فى أحوالى .

وبالفعل تحسنت بعد أسبوعين واستطعت أن أقف على رجلى ،  
وفى نفس الوقت كان جرح يدى اليسرى قد شفى وعدت إلى بيتى ،  
وجدت رجالى ينتظروننى وفى مقدمتهم محمد منسى طنطاوى ،  
ذلك الشاب الشجاع الذى كنت قد رأيت ونحن فى معركة محل  
مورامز - أنه خير من يقود رجالى ويعوضنى عن موت يعقوب  
الزنت .

ولأول ماعدت إلى البيت عرفت أن دار المندوب السامى تسأل  
عنى وأسرعت إلى الاتصال بهم لكى أعرف رأيهم فيما انتهت إليه  
معركة محل مورامز ، وقد وجدت أنهم سعداء بما انتهت إليه  
المعركة ، فقد أنقذنا المحل وقطعنا رجل الفتوات عن هذا المحل وقال  
لى مندوب دار المندوب السامى : وما رأيك يا معلم جوهرى أن نعقد  
اتفاقاً بيننا - بينى وبينك أقصد - على أن نتعاون دائماً على هذا  
النحو .

- ماذا تقصد ياسيدى ؟ .

فقدم لى سيجارة وأشعلها ، وأنا لم أكن أشرب السجاير ،  
فوضعت السيجارة على المنضدة أمامى وقلت : إذا كنت تريد أن

أكون من الآن في خدمة دار المندوب السامى ، فأرجو أن تعلم أننى لا يمكن أن أقبل شيئاً مثل ذلك ، لقد ساعدت في عملية حماية محلات مورامز ، لأنه محل يحبه المصريون ويزدحمون فيه طوال اليوم ، ولم يكن من المعقول أن أدع أولئك المجانين يهاجمون المحل بالنهار وهو ملء بالناس .

فابتسم وقال :اطمئن يامعلم جوهرى ، فنحن ناس نفهم ونعرف فيم وكيف نفيد من رجل مثلك ، على أى حال لن نتحدث الآن ، فأنت حديث عهد بالمستشفى والمرض . ولا بد أن تستريح وعلى فكرة ، إذا كان مرض رجلك هذا يخيفك ، فنحن فى الخدمة ، ومن الممكن أن نبعث بك إلى إنجلترا للعلاج إذا تطلب الأمر ذلك .. على أى حال فكر فيما عرضته عليك وأنت حر أن تقبل أو لا تقبل ، والآن سأصرف وسنلتقى بعد حين ، أحب أن أكرر لك شكرنا لك ، وهذه محفظة صغيرة من الجلد فيها مايمكن أن يعوض لك بعض خسائرك . وعلى فكرة ، إذا لم تكن تريد أن تأخذ هذا التعويض فأنا مستعد لاسترداده . إننا نعرف أنك رجل حساس جداً وقلت له وهو يتجه نحو باب الخروج من غرفتى أنت تقول : نحن على استعداد لاسترداد التعويض ، فمن أنتم وباسم من أنت تتحدث إلى ؟ .

فقال ( وهو يخرج ) : ستعرف ذلك فيما بعد ، الآن أرجو أن تهتم بصحتك ..

وخرج وأقفل الباب وأخذت المحفظة التى تركها لى ، وفتحتها

فوجدت فيها كيساً فيه ثلاثون جنيهاً ذهبياً إنجليزيا . سرني هذا المبلغ لأول مارأيته في يدي ، ولكنني شعرت بالخوف ، وسمعت طرقاتاً على الباب . فأخفيت المحفظة بما فيها ، ونظرت . كان الداخل جمعة نظر إلى بوجهه البليد وقال : أربعة معلمين ، يبدو أنهم مهمين ، يريدون مقابلتك .

- ألا تعرف من يكون هؤلاء ؟

- لا ، ولكنني قلت لك إنه يبدو أنهم رجال مهمون ؟

- انتظر دقيقتين حتى أغير ملابسى وأعد نفسى ، وسأخرج إليهم لينتظرونى فى الصالون .

وكانت أم عبد الحميد قد حولت صالون البيت إلى شىء محترم وزينته بمقاعد وكنبة كبيرة حمراء ووضعت ستائر على الشبابيك . لا أدرى أين رأت ذلك ، ولكنها على أى حال أعطت قاعة الاستقبال قيمة ومنظراً محترماً ، وغيرت ملابسى وخرجت .

قام المعلمون الأربعة وسلموا على وجلسنا ، لم أعرفهم أول الأمر ، وبدأ واحد منهم الكلام ، قال : سلامتك يا معلم .

- ليه . فيه حاجة ؟

- رجلك . أنت تعرج بالرجل اليسرى عرجاً ظاهراً ، خيراً إن شاء الله ..

- صحيح ، رجلى هذه مريضة ، لا أدرى ما حقيقة ذلك المرض ، ولكننى على أى حال تحت إشراف الأطباء .

- أى أطباء ؟ لقد سمعنا أنك كنت فى القصر العينى . لماذا تذهب إلى القصر العينى يامعلم ؟ إن الذين يتولون الأمر فيه ليسوا أطباء .
- من قال ذلك ؟ إنهم أطباء محترمون ، وهذا المستشفى أعظم مستشفى فى مصر فى رأىى .
- هل جربت أطباء آخرين ؟
- لا ، لم أجرب .
- إذن دعنا ننصحك بطبيب ممتاز سنكلمه ونأخذ لك معه موعداً . إنه الدكتور رؤوف عبد السلام أعظم أطباء الأمراض الباطنية فى مصر .
- يدى على كتفكم . وهل هذا فى الموضوع الذى أتيتم من أجله ؟
- لا ، ولكننا سمعنا عن مرض رجلك قبل أن نأتى .
- اتفقنا على أن تحجزوا لى موعداً مع طبيبيكم هذا ، شكراً !
- والآن أريد أن أسمع ما الذى أتى بكم اليوم .
- الحقيقة أننا سمعنا عن معركتكم فى محل مورامز . إنها معركة خطيرة ، ونحن نشكرك على قيادتها .
- لا شكر على واجب . ولكن الجماعة الذين كانوا يريدون القيام بعملية نهب محلات مورامز جبناء وخونه ، كانوا يحملون لقب فتوات ولكنهم كانوا لا يستحقون هذا اللقب ، لقد فكروا فى الهجوم

على محل كبير عامر بالمصريين طول النهار دون أن يحرصوا على سلامة هؤلاء المواطنين ، هؤلاء لا يمكن أن يكونوا فتوات ، على أى حال نحمد الله على أنك انتصرت عليهم . لقد سمعنا أن الإنجليز كانوا معك .

- لم يكن معى إنجليزى واحد .

- فى الظاهر ، ولكن المحل كان مليئاً بالجنود الإنجليز متخفين فى ملابس مدنية ، ويقال إن هؤلاء الجنود هم الذين قتلوا الرجال الأربعة الذين زعموا أنهم فتوات . وهذا هو السبب فى أن البوليس المصرى كتم على الموضوع كله ، ولم يشأ أن يقود تحقيقاً فى الموضوع الحقيقة أن أولئك الرجال كانوا مجرمين والحكومة حمدت الله على أنهم راحوا فى داهية .

- الحمد لله .

- ولكن هذه المعركة نبهت الحكومة المصرية إلى موضوع الفتوات ، ويبدو الآن أنها تريد أن تقضى عليهم تماماً .

قلت : وأنتم مارأيكم ؟

- من رأينا أننا لا يمكن أن نظل ساكتين إذا شرعت الحكومة فى القضاء على الفتوة كلها ، إننى فتوة العباسية ، أو قل إننى ابن فتوة العباسية .

وفى المستقبل سأصير فتوة العباسية واسمى شعبان . شعبان محمود صالح .

- أهلاً وسهلاً ، إننى أعرف أباك .

- طبعاً ، لابد أنك تعرفه ، إنه رجل مشهور جداً فى مصر كلها ،

ولكنه الآن عجز ومرض .

- يشفيه الله سبحانه وتعالى .

- شكراً ، والذى هو الذى أشار على بضرورة مقابلتكم

والاتفاق معك قبل الهجوم على الباطنية .

- الهجوم على الباطنية ؟ هذا مشروع جديد لديكم ؟

- نعم ، إنه مشروع قديم جديد . الحقيقة أن الباطنية حى خطر

إنه عش لكل المصائب : حشيش ، تهريب ، إخفاء مجرمين ، وعمدة

الباطنية أبو الفتوح محسب الدريد رجل مجرم كبير .

- لقد سمعت عنه كثيراً ، وماذا تنوون أن تفعلوا معه ؟

- الفكرة هى أننا نريد أن نهاجم مركزين من أكبر مراكز الفساد

فى حى الباطنية ، إنهما مركزان للتهريب ولتجارة الحشيش ، فإذا

تعرض لنا أبو الفتوح لم يكن لنا مفر من خوض معركة معه .

قلت : إن فكرة مهاجمة الباطنية فكرة قديمة ، ولكن أحداً منا لم

يجرؤ عليها إلى الآن ، وأريد أن أعرف مالذى جراكم هذه المرة .

- بيننا وبينك الحكومة . والحكومة التى يقولون إنها تفكر فى

القضاء على الفتونة لجأت إلينا للقيام بالمعركة مع أشرار الباطنية .

وليست هذه أول مرة تطلب إلينا الحكومة أن نغزو الباطنية ، فإنها

كما قلت مغامرة ، ولكن عندما وجدناهم يفكرون في القضاء على الفتوة قلنا : هذه فرصة لنزيهم من نحن وماذا نستطيع ...

- أرى أنكم عقدتم العزم على ذلك .

- نعم ، نحن وزكى الرويعى فتوة السكاكينى ..

- سمعت أن هذا الرجل مجرم كبير .

- حقاً إنه مجرم ، ولكن علاقاتنا به طيبة .. وقد اتفقنا معه على الاشتراك في مهاجمة الباطنية . والآن وبعد يوم محلات مورامز رأينا أننا ينبغي أن نستعين بك .

- إذا كان هذا هو الذى تريدون حقاً فأنا مستعد ، ولكنكم تعرفون أننى لست مثلكم فأنتم أقوىاء جدا ، وكل فتوة منكم عنده جيش قد يصل إلى مئات ، أما أنا فلدى فرقة صغيرة : يادوبك عشرة رجال ، ثم إننى فقدت يعقوب الزنط .

- كان رجلاً ولا كل الرجل ، يرحمه الله ! .

- ولكن قوتى لازالت بخير ، وعندى قائد قوة لا يقل عن يعقوب .

- نعرفه ، محمد منسى طنطاوى ، إنه ابن منسى طنطاوى فتوة حى طولون .

- أرى أنكم تعرفون كل شىء .

- لابد من ذلك ، أنت فتوة كبير وتعرف أننا نحتل مكانة خطيرة .

- وخطرة ..

فهز رأسه وقال : فعلاً وخطرة أحياناً ، أحياناً لابد أن يكون الإنسان خطراً ونحن الآن لابد أن نكون خطرين ، إذا كانت الحكومة تريد القضاء فلا بد أن تعرف أننا نستطيع أن نكون خطرين جداً إذا تهددنا خطر .

- لا تخف على أى حال ، إنكم تعادون الحكومة دون مبرر وإذا كنتم تريدون مهاجمة الباطنية فما الذى يجعلكم تظنون أن الحكومة ضدكم . أنا شخصياً أرى أننا لابد أن نكون على علاقات طيبة مع الحكومة ، أنا شخصياً لم أكن على علاقات سيئة مع الحكومة أبداً . إننى أعتقد أن الفتوات يكملون عمل البوليس ، كان هذا أساسياً فى الماضى ولا بد أن يكون أساسياً فى الحاضر والمستقبل إذا كنا نريد أن نعيش الفتونة .

— لابد أن نعيش الفتونة ، ولكى نعيش لابد أن نقوم بعملية الباطنية وبعدها وكالة البلح .

— إذا كان ولا بد أن نقوم بعملية الباطنية فلا بد أن تنتظر أسبوعين على الأقل ، حتى تتحسن حالة رجلى .

- كان تفكيرنا هو أن نقوم بهذه العملية بعد أسبوعين على أى

حال . ولم نفكر قبل الآن في رجلك ، ولكن ها نحن الآن متفقون ،  
وإن شاء الله ستتحسن رجلك بعد أن يراك الدكتور رؤوف  
عبد السلام .

— نرجو خيراً ، وأنتم تعرفون أنني لا بد أن أقود معاركى  
بنفسى .

— هل هذا ضرورى ؟ .

— طبعاً ، لكى أحول دون تحول معارك الفتونة إلى معارك قتل  
ونهب . ومن الآن لا بد أن أقول لكم إننا إذا أردنا أن نهاجم الباطنية  
معاً فلا يمكن أن تتحول المعركة إلى غارة نهب وسرقة . لا تنسى أن  
هناك فى الباطنية ناساً طيبين . أيضاً .

— اطمئن يامعلم ، لن ننهب أو نسرق ، نحن سنؤدب تجار  
الحشيش ورجال التهريب ، ونحن نعرف الآن أين مراكزهم .

— وإن شاء الله سأكون أنا قائد الحملة كلها .

فصمت قليلاً ثم قال : طبعاً أنا لا مانع عندى ، وإنه لشرف  
عظيم لى أن أكون الآن تحت قيادتك . ولكن ألا تفكر فى أن تترك  
القيادة هذه المرة لواحد من أولادك ؟.. .

— تقصد نفسك ؟ .

— مثلاً ، والأمر لك على أى حال .

— على أى حال ، أرجو أن ندرس المعركة دراسة دقيقة جداً قبل

أن نخوضها ، وسنرى بعضنا بعضاً مرتين أو ثلاثاً قبل المعركة .  
— طبعاً ونحن نرجو أن تكون أنت همزة الوصل بيننا وبين  
الحكومة .

— همزة وصل فقط ، أريد أن تعرفوا من الآن أننى لست تابعا  
للبوليس كما تظنون .. صحيح أننى لا يمكن أن أقوم بعمل ضد  
الحكومة ، ولكننى كذلك لست تابعا للبوليس ، إننى رجل مستقل ،  
وتأكدوا أننى لن أقول كلمة واحدة عما دار بيننا اليوم .

— هذا أملنا ، سنمضى الآن بعد أن اطمأننا أنك معنا .

— فى هذه العملية فقط !.

— وإن شاء الله فى عمليات أخرى .. وقبل أن ننصرف .. هل أنت  
بحاجة إلى نقود ؟ .

— لا ياابنى ، لست فى حاجة إلى نقود أو سلاح أو أى شىء  
والحمد لله .. وسلموا على وانصرفوا .

وشعرت بتعب لطول الحديث معهم ، وكان لابد أن أعود إلى  
الفراش ، لأننى كنت أريد أن أفكر فيما عرضه على ، لأن الهجوم  
على الباطنية لم يكن بالأمر السهل . لقد فكر فيه الكثيرون من قبل ،  
ولكن الناس كلهم كانوا يخشون أهل الباطنية ، فإن حيهم معقد  
لا يفهمه إلا أهله وسكانه ، ثم إن لديهم أسراراً من القوة لا يعرفها  
أحد ، فهم مسلحون بالمسدسات والبنادق والمدافع الرشاشة ، ولهم

مخابيء تحت الأرض . على أى حال كنت أريد أن أستريح الآن ،  
وكنت كذلك أريد أن أرى الطبيب الذى قالوا عنه ، فقد كان مرض  
رجلى يخيفنى جدا . وهؤلاء الناس لاحظوا أننى أعرج مع أننى لم  
أمش سوى مسافة قصيرة ، فلا بد أن عرجى كان واضحاً . ربنا  
يستر .

ودخلت فوجدت أم عبد الحميد فى انتظارى . ساعدتنى على  
دخول الفراش ، وانتظرت حتى اطمأنتت فى مكانى ثم قالت : أراك  
عدت إلى رسم مشاريع .

قلت : اجلسى وقولى لى : كيف كنت أستطيع أن أرفض اقتراحاً  
مثل هذا ؟ .

إن حى الباطنية فعلاً مصيبة من مصائب القاهرة ، وإذا كان  
من الممكن أن أشارك مع ناس قادرين على العمل لكى نقضى على  
أعشاش الإجرام فى ذلك الحى فلم لا ؟ .

صحيح أننى أريد أن أضع حداً لنشاطى فى الفتونة ، ولكن آخر  
عمل عملته كان مأساة ، وقد اشتركت فيه مع الإنجليز ، وأنا لا أحب  
أن تكون هذه العملية فاصلة فى تاريخى . ثم إنك ترين أننى مفلس  
بعد كل الذى فعلت . إننى بحاجة إلى مال يارقية . إذا كان ولا بد أن  
أعتزل فأنا لن أعتزل إلا إذا كان عندى مال لكى أستطيع الحياة  
محترماً ، ثم إن رجلى هذه تخيفنى ، وإذا كان من الممكن أن يعالجها  
ذلك الطبيب الذى قالوا عنه ! .

- قل ماتشاء ، ولكنى لن أغير رأيسى ، وقد قلت لك إنك فى حاجة الآن إلى شىء واحد : الراحة ، لأن هذه الراحة جزء من العلاج ، وصدقنى أن علاجك ممكن ولكن يبدو أنك لا تريد .

- أنا لا أريد ؟ هل من الممكن أن يكون الإنسان مصاباً بمثل هذا المرض ولا يريد الشفاء منه ؟ .

- إذن فلا بد أن تسمع لى ، إنك دائماً تؤذى نفسك . من زمن أذيت نفسك بالأكل الدسم ، والآن ها أنت لا تريد أن ترتاح لكى يمكن علاجك .

ففكرت قليلاً ثم قلت : على أى حال فأنا لا أستطيع الاعتذار عن المشاركة فى عملية الباطنية .

- لا بد أن ترجع عن هذه الفكرة وتركز على علاجك ، ليس لك الآن إلا أن تركز جهدك كله على علاجك . نم الآن أرجوك ..

- حسناً ، ولكن لا تنسى أننى فى حاجة إلى رؤية الطبيب الذى تكلموا عنه .

- إن شاء الله ...

وبعد أيام جاء شعبان محمود صالح ابن فتوة العباسية وأخذنى بسيارته إلى عيادة الدكتور رؤوف عبد السلام فى وسط البلد . وكانت العيادة مليئة بالمرضى ، ولكنه قدمنى وكشف على ، وطال الكشف وكنت معه وحدى . وبعد أن فرغ من الكشف قال :

شوف يامعلم ، أنت رجل ناضج وتفهم ، ولا معنى لإخفاء الحقيقة عنك وأنا لن أقول لك ماذا عندك لأنك لن تفهم كلامي ، إن مرض رجلك معقد ولكني أطمئنك : إن مرضك كبير ، ولكن من الممكن شفاؤك منه أو على الأقل من الممكن إيقاف تقدمه .

- وهل من العسير الشفاء منه تماماً؟ ..

- سنحاول ، ولكن الأحسن هو أن تعرف أننا مهما فعلنا فإن الممكن الآن هو أن نوقف تقدم هذا المرض ، ومن حسن الحظ أننا أدركناه قبل أن تلتهب رجلك وتفتح ، وفي هذه الحالة كان علينا أن ندخل في علاج طويل ، سأكتب لك الآن علاجاً تسير عليه لمدة شهر ، ثم أكشف عليك مرة أخرى ، عليك بالراحة التامة في نفس الوقت ، عليك أن تمدد رجلك وترفعها عن مستوى جسمك بالنهار والليل مع الهدوء التام ، ولا بد من أخذ الأدوية بنظام تام . لقد قلت لك إن مرضك هذا من الممكن أن نوقف تقدمه وسيقف تقدمه إذا أنت اتبعت تعليماتي ولا داعي للتفكير من الآن في إجراء عمليات لأنها عمليات معقدة وأمرها يطول ، ولكني أعتقد أنك إذا سرت على الدواء مع النوم ورفع الرجل فإنك لا بد أن تتحسن .

ولم أقل شيئاً لشعبان محمود صالح ، كل ما قلته له هو أن رجلى في حاجة إلى علاج طويل ، ولكنني سأشفى إن شاء الله ، واتفقنا على أن نتلاقى بعد أسبوع ، وعدت إلى بيتي وأرسلت جمعة لشراء الأدوية ، وذكرت تفاصيل الغذاء لأم عبد الحميد ، ورقدت وأنا

أشعر أنني وصلت في حياتي إلى منعطف خطير . ولكني لم أخف  
ففي كل الكلام الذي قاله الطبيب لم يشر إلى أن هذا المرض قد يؤدي  
إلى الموت مثلاً ، وللمرة الأولى في حياتي شعرت بأنني في منعطف  
خطير ، ولكني قلت : أستريح الآن ، فهذا هو ما أنا بحاجة إليه .

وبعد أيام جاءني شعبان محمود صالح وكنت قد تحسنت ،  
وحاولت أن أبدو له أنني بالفعل أحسن ، وأنني أستطيع قيادة  
العملية ، ولاحظت أنه سعد بالحديث معي ، فقال وهو ينهض  
ليخرج : على أي الأحوال ، سأرسل كبار رجالى ليجتمعوا بك .

قلت : هذا حسن ، ويستحسن أن تعطيهم فكرة عن أنني ربما  
قدت العملية كلها بنفسى ..

- هل أنت مصر على ذلك ؟.

- أظن ذلك . إننا نريد أن نضمن النصر .

- على أي حال فكر . إننا نظن أننا سنقوم بالعملية بعد  
أسبوعين من اليوم ، وسيكون هجومنا على مركز واحد من مراكز  
الإجرام في الباطنية ، واحد من مراكز تجارة الحشيش ، إنه مركز  
قوى جداً .

- تقصد مركز رمضان الدجوى !! .

- هو بعينه ، إنه يلقب نفسه بغراب الباطنية ..

- إن شاء الله ننتف ريشه .

- نحن واثقون من ذلك ، وسيمر عليك رضوان أبو رصاص .

- أنا في انتظاره ، حبذا لو مر على غداً أو بعد غد .

- سيمر عليك بعد غد .

- حسناً ، وسأكون في انتظاره .

- وقبل أن أخرج ، لابد أنك في حاجة إل نقود . سنتحاسب بعد

العملية ولكن هذه ألفا جنيه على الحساب .

- لا لزوم للنقود الآن ..

- كيف تقول إنه لا لزوم للنقود ، إن النقود أهم شيء في عملنا

هذا .

- لابد أن لديكم مالاً كثيراً .

- كويس والحمد لله .

- ولكنى لا أستطيع أن أقبل منك هذا المال ، ولا مؤاخذه إننى

لا أقبل مالاً لا أعرف مصدره .

- تقصد أنها ربما كانت فلوس حرام ؟

- مثلاً ..

- شوف يامعلم . دعنا الآن من حكاية حلال وحرام . نحن

سنقوم الآن بعملية ضخمة ، وسترى كيف نتصرف . خذ هذا المال

ولا تخف ، إنه مساهمة منا في إعداد رجالك ، إن هذه النقود مرسلة

إليك من والدى المعلم محمود صالح .

وأخذت المال منه بعد أن أفهمته أنني لست فى حاجة إلى نقود ،  
وشعرت بذلك فعلاً بعد أن خرج ، شعرت أنني لست فى حاجة إلى  
نقود ، ومن حسن الحظ أن معى زوجة مثل أم عبد الحميد . هذه  
المرأة حقيقة نموذج لأحسن ما يمكن أن تكون عليه المرأة المصرية ،  
إنها نموذج للصبر والاحتمال والاستعداد للعمل والحب والتضحية  
ولديها ذلك الحنان الطاغى الذى يجعلك تشعر بأنك فى حماية  
حقاً .

\*\*\*

وسرت على العلاج بحذافيره بعد أن اقتنعت بخطورة مرضى  
وإمكان إيقاف تطوره إلى الأسوأ ، لم يهمنى قط أن أعرف حقيقة  
هذا المرض مادمت قد عرفت كيف أوقف تطوره . وخلال الأسابيع  
القليلة التى أعقبت ضربة مورامز فقدت حقيقة كل لذة فى الحياة ،  
والموت لم يعد يخيفنى ، وخاصة بعد أن استعرضت حياتى وأنا  
راقداً فى الفراش وتبينت أن حياة رجل مثل أنها كلها لا شىء ، أو قل  
إننى لم أحقق فيها شيئاً . لقد تزوجت ثلاث مرات قبل أم  
عبد الحميد . وزوجتى الأولى الست جلييلة أنجبت منها ولداً هو  
إبراهيم استقر فى دمياط عند أسرة زوجته واشتغل بالتجارة ، وأنا  
الذى مولت له متجره الكبير هناك .. ونجح ثم انقطع عنى ، أو قل  
إننى أنا الذى انقطعت عنه ، وهذا هو الأصح ، لأن حياة الفتونة

لا تعطيك وقتاً لكى تكون أباً فأنت دائماً تعيش فى جو مغامرات ،  
وزهنك دائماً مشغول بالفتوات الآخرين وبرجالك . ثم أين هذه  
الزوجة أم الأولاد ؟ لقد طلقتهام عرفت بعد ذلك أنها تزوجت رجلاً  
آخر وابتعدت عنى ، وسمعت أنها أنجبت ، ثم اختفت عنى فى زحمة  
الحياة . أما ابنتى منها فلا زالت والحمد لله بخير وإن كنت لا أراها .

والذى أذكره أن هذه الزوجة الأولى لم تكن زوجة ممتازة ، وقد  
غضبت عليها وتركتها واعتقدت حينذاك أنها مخطئة جداً فى حقى .  
والآن أرى أنها لم تكن مخطئة لهذا الحد ، فقد تزوجتها وأنا أعيش  
على بقايا محل الجواهر الذى ورثته من أخى ، وكنت أيامها ضيق  
الصدر قصير البال ، والمسكينة لم تستطع احتمالى ، ولكنها عرفت  
قبل طلاقها كيف تقنعنى بضرورة الإنفاق على ابنى إبراهيم  
وزواجه من نعمات الدمياطية الموسرة فانشأت له محله فى دمياط .  
ثم جاءت حياة الفتونة وقضت على كل شىء والزوجة المطلقة  
اختفت عن ذهنى ، وانشغلت عن ابنى وأولاده .

أما ابنتى نفيسة فأذكر الآن أنها بنت جميلة ولطيفة ، وقد  
أحببتها وعلمتها ثم زوجتها من ابن أحد التجار ، وهذا الولد كان  
ضابطاً فى الجيش ، ولأنه كان ضابطاً فقد كان من صالحه أن يبتعد  
عنى ، لأننى كنت إذ ذاك عدواً للبوليس ، ولم أهتم بذلك حينذاك ،  
ولكنى الآن وأنا فى آخر حياتى أشعر بالحنان نحو هذه البنت  
وأتمنى أن أجدها وأرى أولادها ، فلا شك أن لها أولاداً .

وبعد نحو ثمانى سنوات تزوجتُ إيناس ، وكانت سيدة جميلة وراقية وحنونة ، وقد أحببت إيناس واعتقد أنها أحببتنى ، ولكنها كانت تصر على أن أترك الفتونة ، وأنا لم أكن أفكر إذ ذاك فى ترك الفتونة ، والمسكينة لم تحتمل حياة الفوضى والصخب والعنف التى كنت أعيشها ، ولم يكن هناك مفر من الطلاق ، أذكر أنها بكّت كثيراً يوم ذهبت إلى بيت أهلها لأسلمها ورقة الطلاق وألفى جنيه - يومها قالت لى : إذا عدت إلى عقلك فستجدنى هنا فى انتظارك .

ولكنى لم أعد إلى عقلى ومضيت فى حياتى ونسيتها ثم عرفت أنها تزوجت وأنجبت يومها قلت : مع السلامة أما الآن ، وأنا راقد مريض فإن قلبى يفيض بالأسى على إيناس وأيام إيناس ..

وهذه الذكريات تقطع قلبى الآن . ها أنا أرقد فى الفراش ، وأنا فى أوج حياة الفتونة والناس تحسب أننى فى قمة السعادة والقوة والغنى ، ولكن ها أنا كما ترانى الآن فى قرار التعاسة والمرض والفقر أيضاً .

أقول : الحمد لله أن عندى أم عبد الحميد ، لابد أن أحافظ عليها ، فهى كنز بالنسبة لى ، لقد أعطيتها كل مالى وأنا فعلاً فى حمايتها ، أدامها الله لى وشفانى .

\*\*\*

وبعد أيام مر على شعبان محمود صالح ابن فتوة العباسية - كما ذكرت - ومعه اثنان من رجاله ، وكنت قد تحسنت بعض

الشيء واستطعت أن أجلس على الكرسي . ولكنى كنت دائماً ممدد الرجل وكنت أضع غطاء على رجلى . وساعة ما دخلوا كنت أشرب الشاي ، فرحبت بهم ، وقال شعبان أنت أحسن الآن ..

- بكثير ، والفضل لله ولك . أنت عرفتني بالدكتور رؤوف عبد السلام وحجزت لى الموعد عنده .

- هل رأيت الآن أن القصر العيني ليس مستشفى ؟ .

- لا ياابنى لازلت أعتقد أن القصر العيني أحسن مستشفى فى مصر ، والأطباء هناك من أحسن أطباء مصر ، ولكن الناس كثيرون جداً يامعلم شعبان ؟ الناس هناك آلاف كل يوم ، وكل يوم يأتى ألوف من المرضى الفقراء الذين لا يملك الواحد منهم لقمة عيش ولكنه مريض وعلاجه يحتاج إلى ألوف . حقاً إن الدكتور رؤوف أستاذ عظيم ، وقد رسم لى خطة ممتازة لعلاج رجلى وكذلك كتب لى أدوية محترمة ، ولكنه لا يستطيع علاج الناس فى القصر العيني أقصد ليس لديه وقت .

فقال : تصوّر أنه لم يقل لى ماذا عندك ؟ .

قلت : ولماذا يقول لك ؟ كان ينبغى أن يقول لى أنا ماذا عندى ، ولكنه لم يقل .

- على رأيك . وكل مايهمنى الآن أن أعرف أنك والحمد لله أحسن .

- أرجو ذلك .

وطلبت لهم الشاى وقال شعبان : لقد رسمنا خطتنا ، وأريد رأيك فيها .

— يبدو أن العملية جد .

— مؤكّد جد ! إنها عملية خطيرة وسنخرج منها بالوف بل بمئات الألوف .

قلت : وهل اتصلتم بالبوليس ؟

فنظر إلى دهشاً وقال : البوليس ؟ وما شأن البوليس هنا ؟

— طبعاً ليس له شأن ، ولكنى أقول إن العملية مادامت تخدم الأمن فلا يضرنا فى شىء أن نعرف رأى البوليس .

قال : أنا أقول لك دون سؤال : البوليس لا يريد أن يقوم أحد بشىء .. إنه يعرف أن حى الباطنية غارق فى بحر الإجرام ، وأن العصابات هناك ربما فاقت عصابات أمريكا ، والبوليس غير قادر على هذه العصابات ، ولكنه لا يريد أن يتدخل أحد ، أهون عليه أن يدع الإجرام يستشرى من أن يدعنا نحن نقوم بعمل لا يريد أن يقوم هو به .

ثم سألت : وماذا فعلت أنت ؟

قال : كما ترى . لقد نبهت رجالى وأنا مستعد .

وسكت لحظات ثم قال : أعتقد يامعلم جوهرى أنك فى حاجة إلى

رجال ، إن كل قوتك عشرة رجال .

- هذا صحيح ، ولكن رجالى العشرة بألف .

- إذا كنت أنت معهم فى المعركة .

- وهل من الممكن أن نخوض معركة ولا أكون أنا على رأس

رجالى؟.

- هذه فلسفتك . أما نحن فلا نحضر المعارك ، نحن نرسم

الخطط ونختار الرجال ونشرف من بعيد . وفى مسألة الباطنية

سنسير على هذه الطريقة . لقد أعدنا نحو ثلاثمائة رجل مسلحين

ومتدربين .

- أما أنا فساكون على رأس رجالى .

- غير ممكن يا معلم ، إنك لا تعرف رجال الباطنية الذين

سناهاجمهم ، كلهم مجرمون من النوع الخطر ، وحرام أن تواجه

هؤلاء الرجال المجرمين إن ( أبو الفتوح محاسب ) عمدة الباطنية

مجرم خطير جداً .

- سأرى يا شعبان ، سأرى وعندى الآن رأى .

- وماهو؟.

- هو أن أقود أنا الرجال كلهم ، رجالى ورجالكم .

- هذا خطر عليك يا معلم .

- إن كل عملنا خطر .. كيف تتصور أن يكون الإنسان فتوة

ويخوض المعارك دون أن يتعرض للخطر؟.

- هذا هو الفن يامعلم ، نحن نخوض المعارك ونحن في بيوتنا ..  
جرب هذه المرة .

- أما طريقتكم هذه فلا بد أن أفهمها جيداً قبل أن أطبقها  
فدعنى أفكر ، وثق أننى سأكون معكم فى المعركة يوم الهجوم .  
أعتقد أننى لابد أن أرى رؤساء رجالكم أو رئيسهم على الأقل .  
- وهل هذا ضرورى ؟ .

- أعتقد ذلك . المعركة خطيرة ، وهؤلاء الناس فى الباطنية لهم  
مراكز ومعسكرات وأعشاش ، والهجوم عليهم ينبغى أن يكون  
شاملاً ، وقبل أن نهجم لابد أن نكون واثقين من النصر ، ثم قلت :  
على فكرة ، متى أرى رئيس رجالكم ؟ .  
- وقتما تريد ..

- بعد أن أقابل المعلم رضوان أبو رصاص سنتفق على ترتيب  
هذه المقابلة .

- إن شاء الله ! ثم قال : على فكرة ، هذه ثلاثة آلاف جنيه من  
والدى للاستعداد للعملية .

وخرجوا بعد أن ودعتهم ، وجاءت أم عبد الحميد وقالت : أرى  
أنك اتفقت معهم .

- ليس بعد . إننى أنظر كيف يرتب هؤلاء الناس أعمالهم ، إنهم  
يرتبون العمليات ولكنهم لا يدخلون المعارك ومن الغريب أننى لم  
أفكر فى ذلك من قبل الآن .

- لأنك يامعلم لست فتوة من طرازهم .

قلت لها : ربما كان ماقلتبه هذا هي حقيقة الموضوع كله .  
هؤلاء لصوص لا فتوات على أى حال . خذى هذه الفلوس . إنها  
هدية من المعلم محمود صالح فتوة العباسية . أردت أن أرداها فلم  
أستطع .

قالت : ولماذا تردها ؟ .

- يعنى ، أنا واثق أنها ليست حلالاً .

قالت : مادمت ستتعامل مع أولئك الرجال فلاتفكر فى الحلال  
أو الحرام .

- على رأيك .. خذى هذه الفلوس الآن .

- حسناً . والآن ، هل أعد لك الغداء .. ؟ .

- أظن أننى سأنام الآن وساعدتنى أم عبد الحميد على النهوض  
والسير . ودخلت الحمام ، ثم الفراش . ونمت .

\*\*\*

صحوت أحسن حالاً . وأحسست بالجوع . وأرادت أم  
عبد الحميد أن تأتينى بالطعام فى الفراش ، ولكنى فضلت أن أذهب  
بنفسى إلى مائدة الطعام ، وعندما جلست أحسست بإعجاب شديد  
بهذه السيدة ، فقد كان الطعام الذى أعدته جميلاً ولذيذاً .

وفي أثناء الطعام قلت لها : شوفى يارقية ، هذه أول مرة أقوم بمثل هذا العمل . هؤلاء الناس لا يعلم حقيقة أمرهم إلا الله . ولكنى أحس أننى سوف أكسب من التعامل معهم هذه المرة وأظن أننى لن أعمل معهم إلا مرة واحدة . اننى كما ترين قليل المال ، وأنا لا أستطيع أن أترك الفتونة وأنا على هذه الحال .

- تريد أن تقول إنك فى حاجة إلى نقود ؟.

- طبعاً ، وأقول لك الحق : لقد شعرت بالخجل لأننى عملت فى الفتونة هذا العمر الطويل ثم وجدت نفسى فى النهاية فقيراً بالمقارنة مع أولئك الناس الذين هم فى الحقيقة لا شىء ، لقد عرفوا كيف يجعلون الفتونة وسيلة لجمع المال ، أما أنا فوالله ما أدرى فيم أنفقت مالى وجهدى . إن المال الذى لديهم كثيراً وهم يعطوننى المال . دون تفكير طويل قالت : وهل تظن أنك تكسب مالا من العمل معهم ؟.

— هذه المرة فقط ، لأننا فى الحقيقة سنضرب جماعة تستحق الضرب ثم إن جماعة الباطنية لديهم أموال .

- تقصد أنهم لصوص ؟.

— وأكثر من لصوص . تستطيعين أن تقولى إنهم مجرمون ، ونحن لا نتردد فى الهجوم على المجرم على أى حال .

قالت : وأين البوليس منهم ؟.

— البوليس لا يستطيع الكثير مع ناس كهؤلاء ، لأن البوليس محكوم بقوانين ونظم ، وهؤلاء المجرمون يرون في هذه القوانين والنظم نقطة ضعف في بناء البوليس وعمله . وهم يستغلونها أسوأ استغلال . ثم إن الاحتلال الإنجليزي وقوة السراى وقوة الباشوات كل هذه أضعفت البوليس ، ورجال الحكومة القومية الآن يريدون أن يعيدوا بناء قوة البوليس . وأنا كما تعرفين على علاقة طيبة بالبوليس ، ولهذا فإننى أفكر — قبل الإقدام على هذه العملية — فى أن أتصل بالبوليس لكى أعرف رأيهم فى مثل ذلك العمل .

— هذه مسائل أنا لا أفهمها مثلك ، ولكنى أرى أنه من العقل أن تعرف رأى البوليس فى مثل هذه العملية .

— سنرى ، وصدقينى أننى أرجو أن أفوز هذه المرة بمال كثير ينفعنى فى المستقبل ، ولكن دعينا نجرب ، دعينا ندخل معركة مع لصوص .

\*\*\*

وبعد أيام أحسست أن رجلى قد تحسنت بصورة تمكننى من السير مسافات متوسطة . شعرت أننى أستطيع السير ثلث ساعة مثلاً ، فلبست أحسن ملابسى وركبت سيارتى إلى قسم بولاق وهناك قابلت المأمور ، ووجدت منه ترحيباً عظيماً ويبدو أنه توقع أن أطلب منه شيئاً كبيراً ، ولهذا أحسست أنه شعر باطمئنان عندما قلت له إن كل ماأطلبه منه هو أن يوصى بى زميله مأمور الجمالية .

ولم أبلغه بما أريد من مأمور الجمالية وإن كنت قد أعطيته فكرة  
عن أن ناساً من الفتوات يفكرون في الهجوم على حى الباطنية .

وعندما لقيت مأمور الجمالية وجدت منه ترحيباً كبيراً ،  
ورجوته أن يكون اجتماعى به على حدة ، وعندما صرنا معاً قلت  
وأنا أشرب القهوة : مارأى سعادة اللواء في القائمين بالتهريب في  
الباطنية؟.

— ولماذا تسأل عن القائمين بالتهريب هناك ؟ هل تظن أن  
المجرمين هناك مقسمون أو أن إجرامهم فيه تخصص ..  
— هذا هو ما يقال .

— اسمع يامعلم . عندما تريد أن تعمل شيئاً مع مجرمى  
الباطنية فدع كل شىء فيه عقل جانباً ، لأن أولئك الناس متحصنون  
في حوارى حيهم الضيقة ، ورجالهم متفرقون هناك ، وكل مجموعة  
منهم يتبعون واحداً أو أكثر من رؤساء العصابات ، وهم يعملون  
كل شىء ونفس العصابة ورجالها يقومون بالتهريب وتجارة  
الحشيش وإخفاء المجرمين ، فإذا كنت تريد أن تعمل شيئاً هناك  
فاحسب حسابك على أنك في أى حالة تنازل كل مجرمى الباطنية .

— وإذا فرضنا ذلك فإننى أسأل : ماذا يكون موقف البوليس في  
حالة الهجوم على الباطنية؟.

فاعتدل في مجلسه وقال في صوت جاد : هل تفكر في أن تقوم  
بالهجوم على حى الباطنية؟.

- أنا لا ، ولكنى سمعت أن بعض الفتوات يفكرون في شيء مثل ذلك ، ولهذا رأيت أن أراك .

- كنت أظن أن أمر الفتوات قد انتهى ، ولكن يبدو أنهم مازالوا موجودين ، والآن قل لى ماهى التفاصيل التى لديك .

- أقول لك الحق : ليست لدى الآن تفاصيل . ولكنى أحببت فقط أن أعرف ماذا يكون موقف البوليس فى حالة الهجوم على الباطنية؟

- أنت إلى الآن صريح معى ، وسأكون صريحاً معك ، لو استطعنا لما أبقينا على عصابة هناك ، فإذا كان هناك ناس يريدون أن يضربوا أولئك المجرمين فتأكد أننا سنبدل جهدنا فى الوقوف على جنب ، ولن نتدخل إلا إذا وقع قتل أو نهب على نطاق واسع مثلاً .

- أى أن نهب أموالهم وضربهم لا يهتمكم كثيراً؟

- طبعاً يهمنى ، ولكننا نفكر قبل أن نتدخل ، إن رجال هذه العصابات مجرمون فعلاً ، ونحن لا نغامر برجالنا بالهجوم عليهم ولهذا فإننا - كما قلت لك - سنجتهد فى الوقوف على الحياد ، ويهمنى جداً - بعد الهجوم أن يقول لنا أولئك الناس ماذا فعلوا .

- ولماذا بعد الهجوم؟

- لأنهم لو قالوا لنا ذلك قبل الهجوم لكان من واجبنا منعه ، وبينى وبينك أنا لا أريد منع هذا الهجوم ، لأن مجرمى الباطنية

مصدر متاعب لا نهاية لها لى ولرجال البوليس معى ، ولكى نقضى على مجرمى الباطنية لابد لى من عشرة أضعاف من عندى من الرجال ، وأضعاف مالدى من السلاح ، ثم إن الحكومة لابد أن تقفل عينها تماماً ، فلا تدخل بعد ذلك فى تحقيقات وسين وجيم ، وهذا هو السبب فى أننى أتحاشى إلى الآن القيام بشىء حاسم ، إننى أتمنى أن أقوم بذلك ولكننى لا أستطيع ، ومن هنا تفهم أنه لا مانع عندى فى أن يضربهم غيرى ، شريطة ألا تكون هناك جنایات قتل أو نهب واسع المدى .

- إذن فاسمح لى أن أقول لك إن محمود صالح فتوة العباسية يخطط للقيام بهجوم على مراكز التهريب فى الباطنية ، وقد اتصل بى يرجو أن أساعده فى ذلك .

ففكر لحظات ثم قال : أنت تعرف أننى لا أستطيع أن أقول لك فى هذه الحالة افعل أو لا تفعل ، ولكن أرجو فى حالة قيامكم بشىء أن تبلغنى أنت بالذات بكل ماحدث .

- ذلك لك . إننى كما تعلم حريص جداً على علاقتى بالبوليس ، ولكن أولئك الناس فعلاً يستحقون الضرب ، فإذا نحن ضربناهم فثق أنك ستكون أول من يعلم .

- وأهم من ذلك أن تحترس ، لأن أولئك الناس لا يؤمنون بشىء ، وسأقوم الآن بإبلاغ الداخلية بما قلته لى ، ولكنى لن أذكر اسمك ، وأظن على أى حال أن الداخلية لن تفعل شيئاً ، لأنهم فى الداخلية مشغولون الآن بإعادة بناء البوليس .

- حسناً ، أنا أذهب الآن ، ولكنى أعدك بأن أراك قبل أن نقوم

بشيء .. إذا قمنا .

- مع السلامة ، وثق أنني من جهتي لن أتأخر قط في معاونتك

أنت بالذات ، وأنا عندي هنا كما تعلم قوة لا بأس بها ، وقد بنيتها  
بجهد كبير خلال ثلاث سنوات ، وهذه أرقام تليفونى وأرجو أن  
تعطينى أرقام تليفونك .

- لا تليفون عندي .

- ياسلام ! وده اسمه كلام . اذهب غداً إلى التليفونات

سيركبون لك تليفونين أو ثلاثة إذا شئت . هل تحب أن ندفع نحن  
الاشتراكات؟

- لا ، عندي مال والحمد لله ، وإن كنت أرى ألا لزوم لذلك

ياسعادة المأمور .

\*\*\*

وشعرت بتحسن تام ، ولم تعد رجلى تؤلمنى ، كان الإقبال على

شياء كبيرة شغلنى حتى عن نفسى ، والحقيقة أنني بعد أن تحدثت  
إلى المأمور وعرفت موقف الحكومة من عمل كهذا تشجعت وقررت  
الاشتراك فى ذلك العمل ، وجاءنى شعبان محمود صالح ابن فتوة  
العباسية وتحدث معى مليا ، وأعطانى فكرة مفصلة عن حى

- حسناً ، أنا أذهب الآن ، ولكنى أعدك بأن أراك قبل أن نقوم بشيء .. إذا قمنا .

- مع السلامة ، وثق أنني من جهتي لن أتأخر قط في معاونتك أنت بالذات ، وأنا عندي هنا كما تعلم قوة لا بأس بها ، وقد بنيتها بجهد كبير خلال ثلاث سنوات ، وهذه أرقام تليفونى وأرجو أن تعطينى أرقام تليفونك .

- لا تليفون عندي .

- ياسلام ! وده اسمه كلام . اذهب غداً إلى التليفونات سيركبون لك تليفونين أو ثلاثة إذا شئت . هل تحب أن ندفع نحن الاشتراكات؟

- لا ، عندي مال والحمد لله ، وإن كنت أرى ألا لزوم لذلك ياسعادة المأمور .

\*\*\*

وشعرت بتحسن تام ، ولم تعد رجلى تؤلمنى ، كان الإقبال على شىء كبير شغلنى حتى عن نفسى ، والحقيقة أنني بعد أن تحدثت إلى المأمور وعرفت موقف الحكومة من عمل كهذا تشجعت وقررت الاشتراك فى ذلك العمل ، وجاءنى شعبان محمود صالح ابن فتوة العباسية وتحدث معى مليا ، وأعطانى فكرة مفصلة عن حى

- ولكن الآخرين لن يشتركوا ، سيكتفون بإرسال رجالهم ؟ .

- هذه طريقتهم ، أما أنا فلن أستخدم طريقة أخرى ، لأننى إذا دخلت معركة فلا بد أن أنتصر ، وأنا لا يمكن أن أثق فى النصر إلا إذا كنت هناك ، وليس معنى ذلك أننى لا أثق فى رجالى ، لأن الواقع أننى أثق فيهم بغير حدود ، ولكن اشتراكى فى المعركة يحمينا من المفاجآت ، ثم إن لى فى المعارك تصرفاً أنت تعرفه .

- كلنا نعرف ذلك . على أى حال اعتمد على الله ثم علينا ، كنت أنوى أن أتزوج خلال الأيام القادمة ، ولكنى أرى الآن أننى لابد أن أوجل الزواج .

- هذا رأىى أنا أيضاً ، والمسألة على أية حال مسألة أيام ، الآن انصرف وتعود إلى بعد ثلاثة أيام .

- إن شاء الله - ثم أضاف : ربما احتجنا إلى نقود أخرى ، إن رجالنا الآن تسعة .

- توكل على الله وسنرى .

وكنت أنوى أن أعطيه كل ما يطلب ، وكانت تلك طريقتى : أن أعطى رجالى حتى أملاً عيونهم وأكون واثقاً من أنهم سيبدلون آخر جهدهم معى ، وهذا ماكان يقع بالفعل وكانت نظريتى أننى لابد أن أنتصر فى كل معاركى :

\*\*\*

وكننت أعرف أنهم قرروا ألا يقودوا هم الهجوم ، ولكنى كنت أعرف أيضاً أنهم ماداموا سيتغيييون عن المعركة تاركين الأمر لرجالهم فإننى سأعرف كيف أتصرف ، وأقود الهجوم كله .

واتفقنا على أن يكون الهجوم يوم الجمعة مساءً ، ورسمنا خطتنا على أن تدوم المعركة حتى تتحطم كل قوى المهربين من أهل الباطنية ، وعندما بدأنا الهجوم بعد صلاة العشاء استوقف نظرى أن رجالهم لم يكونوا فى الواقع إلا لصوصاً ، وتبينت عندما بدأت المعركة أن أحداً من حلفائى لم يكن يعرف شيئاً يوثق به عن الباطنية ، فهذا حى غريب كله حوارى ضيقة وأوكار لا يعرف تفاصيلها إلا أهلها ، أما نحن القادمون من الخارج فكان كل شىء جديداً علينا ، ومن حسن الحظ أن رجال فتوة العباسية استطاعوا أن يقتحموا مقاومة المهربين ، وقد تحملوا خسائر جسيمة وتراجعوا ، وهنا وجدونى مع رجالى وكانوا فى أشد الحاجة إلى عون فقلت لرؤسائهم : لا تتراجعوا أكثر مما تراجعتم ، انضموا إلى وسأقودكم ، وكل ماأطلب إليكم الطاعة التامة وأن تدلونى على الأوكار والمخازن وحصون المهربين .

واستجابوا لى ، ودلونى بالفعل على أسرار هذا الحى ، وتركونى أقود المعركة وأعجبينى محمد منسى طنطاوى ، فقد كان شجاعاً بأسلاً ، وبعد ساعتين من المساجلة قال لى : هذا هو وكر رمضان العتابى رئيس المهربين ، سنهجم عليه وحدنا لأن رجال العباسية انهزموا وتفرقوا وقتل منهم اثنان وجرح كثيرون .

ولم أكن في حاجة إلى أكثر من ذلك ، فهجمت ورجالي معي على بيت العتابي واقتحمناه وحاول بعض الرجال اعتراضى فلم يثبتوا ودخلنا البيت ، أو البيوت بمعنى أصح ، وأمسكنا برجال تبين أن فيهم خازن الأموال ، وكان رجلاً بشعاً ضخم الجثة وأراد أن يخدعنى فضربته ضربتين فوقع إلى الأرض ، وأخذ منسى الطنطاوى المفاتيح وفتح ، ونادى رجاله فنهبوا البيت وأنا أحرسهم وقلت لمنسى : لا بد أن نقضى على كل مقاومة .

فقال : انتهوا ولم تعد هناك مقاومة ، هربوا ، ولا أدرى إلى أين ؟ .

- والأموال ؟ .

- هذه بعضها ورجالنا يحطمون الخزنة الآن .

- لا بد أن هناك من يفتح هذه الخزانة ، ابحثوا عنه .

وبحثوا عنه وأتوا به ، وكان قد أصيب في فخذه ، فحملناه إلى الخزنة .. ففتحها ، وقلت لمنسى : الآن تأخذون هذا الرجل وتنتظرون في الخارج ، سنذهب بعد ذلك إلى قصر العيني ، وسنأخذ هذا الرجل معنا .

ودامت هذه المعركة العنيفة إلى قرب الفجر ، فأخذنا كل ما حصلنا عليه واتجهنا إلى مركزنا خارج الحى .

وقلت لمنسى : الآن تترك هذه كلها معى وتمضى مع بقية

الرجال إلى مستشفى قصر العينى وسيقوم الدكتور القلى باستقبالكم ، وسيرحب بكم عندما يعرف أنكم من ناحيتى .

- وإذا لم يكن هناك ؟ .

- أى رجل سيقوم بالواجب نحونا إذا عرفوا أنكم رجالى .

وسرت مع ستة من الرجال ومعنا عربة يد وجدناها فى الطريق هناك ، فوضعنا فيها مامعنا واتجهنا نحو السيارة ، ووصلنا إلى بيتى ، وأخذت كل شىء وأشهدت الرجال على أن كل شىء فى أمان ثم قلت : هل فيكم جريح ؟ .

وصاح واحد منهم : أنا ، أصابتنى ضربة خنجر خلف كتفى ! .

فقلت لسائق السيارة : تأخذه إلى القصر العينى ، هناك ستجد منسى الطنطاوى فاتركوه معه والآن تعودون إلى بيوتكم لتستريحوا ، وتأتون غداً فى الساعة العاشرة صباحاً شكراً يارجال .

وكان نور الفجر قد بدأ يضىء ، وعندما انصرف الرجال أعطيت كل شىء لأم عبد الحميد ، لأننى كنت متعباً جداً ، وكان ذراعى الأيمن يؤلمنى ولا بد أنه أصيب وجلست أستريح وسمعت صوت أم عبد الحميد تقول : لابد أنك جائع الآن ، غير ملابسك الآن حتى أعد لك الطعام ، ثم نظرت فى ذراعى وقالت : لابس والحمد لله ، إنها ضربة بعصا وسأربطها لك بعد أن تغتسل .

واغتسلت ، ولم أكن قد شعرت إلى هذه اللحظة بالجوع ، ولكن

عندما أتت أم عبد الحميد بالطعام أكلت في نهم ، وشربت ماء كثيراً ،  
ثم قادتني إلى الفراش وربطت ذراعى فرقدت ونمت قبل أن تعطيني  
أى دواء .

\*\*\*

أظن أنني نمت في الخامسة والنصف صباحاً واستيقظت في  
التاسعة والنصف مساءً ووجدت كل ماحولى في غاية الهدوء ،  
وقالت أم عبد الحميد لسة بدرى .. تستطيع أن تنام ساعتين أو  
ثلاثاً .

- سأحاول . ولكنى أرجوك لا يقلقنى أحد .

وحاولت النوم فلم أستطع ، ولكنى بقيت مطمئناً في الفراش  
ومضيت أستعرض الذى حدث فأدركتنى الدهشة لأن رجال  
العباسية ، وهم الذين فكروا في هذا الهجوم ودبروه لم يكونوا حمل  
معركة كهذه ، ويبدو أنهم لم يكن لهم من الفتونة إلا الاسم ، فقد  
كنت أسمع عنهم وأخافهم ، ولكن هاهم الآن جبناء ، وكل ما فعلوه  
أن رجالهم فتحوا لنا الطريق بأساليب لا أعرفها ، ولكن أولئك  
الرجال لم يثبتوا لرجال الباطنية الذين اختبئوا في كل أوكار حيهم ،  
ومعهم السكاكين والخناجر والمسدسات أحياناً ، وكان لابد من  
الحذر الشديد أثناء التقدم ، وقد استطعت التقدم بمعاونة منسى  
الطنطاوى ، واستطعت كما قلت أن أفتح الخزينة وأخذ ما فيها ،

وكان الخروج أصعب من الدخول ، وأظن أننا احتجنا إلى أكثر من ساعة ونصف قبل أن نكون خارج هذا الحى المليء بالأخطار ، وأين رجال العباسية أثناء ذلك ؟ لقد قتل منهم اثنان وجرح نحو خمسة ، أما الباقون فإله أعلم أين ذهبوا ؟. وكان لا بد أن أنتظر حتى يأتى منسى لى أعرف ماذا أصاب رجالنا .

وأظن أننى عدت إلى النوم ، ولكنى صحوت تماماً فى الحادية عشرة ، وقمت من الفراش وأنا أشعر بشيء من السرور ودخلت الحمام ، ثم أبلغتني أم عبد الحميد أن منسى ورجلين قد أتوا ، وخرجت للقائهم بعد عشر دقائق ، ولم يعجبني منظر وجه منسى أول مارأيته ، وجلست وانتظرت الشاى ، ثم مررت بيدي على وجهه وقلت : إيه يامنسى ، كيف حالك ، وكيف حال رجالنا ؟.

- كسبنا المعركة ، ولكن خسائرنا ثقيلة - قتل اثنان من رجالنا وجرح ثلاثة ، لم يسلم أحد منا من جروح ، هؤلاء شياطين .

- لا بأس . نحمد الله على أى حال وأنا أيضاً أصبت بضربة عصا مؤلمة فى ذراعى الأيسر ، الآن نرى ما حصلنا عليه ، وأهم ما عندنا ، كما تعرف هو أن نعوض القتلى .

وناديت أم عبد الحميد ، فأحضرت الأشياء التى عدنا بها كما هى ، وقام منسى بفتحها وجدنا أشياء ذهبية كثيرة : أساور ، غوايش ، خلاخيل وعقود ، أما الأموال فكانت حوالى ثلاثة آلاف جنيه ، قلت لمنسى : كيف سنتصرف فى هذا الذهب الكثير ؟.

- كما ترى؟

- من رأى أن ننادى أهل القتيلين ونعطيهم حتى يرضوا ،  
وبالفعل حضرت زوجة أحدهم وكانت في غاية الحزن ، وقلت لها :  
الآن تجففين دموعك وتنظرين ، خذى هذه ، وأعطيتها خلخالاً كبيراً  
وأربعة أزواج من الأساور وقلت لها : هل تجدين في هذه كفاية ؟  
- أعطنى شيئاً من النقود .

فأعطيتها خمسمائة جنيه ، ويبدو أن هذا سرها ، فلم تعد تبكى  
وأنتها أم عبد الحميد بكيس فوضعت فيه ذلك وقلت لها : هذا  
تعويضك عن خسارتك ، وليس لك عندنا بعد ذلك شيء .

وهزت رأسها ونهضت ومضت ، وفعلت مثل ذلك مع أخت  
القتيل الآخر وكانت تتولى تربية أولاده ، وقلت بعد ذلك : خذ  
يامنسى ماتحتاج إليه من هذه المجوهرات ، وخذ ألف جنيه لأننا  
سنقسم الباقي .

فقال : خذ أنت ماتريد ياسيدى ، أنا أرى أن تأخذ ألفى جنيه  
وماتريد من المجوهرات والباقي نقسمه فيما بيننا .

قلت : أعطنى أنت ماترى ، المهم أن تكون أنت والرجال راضين ،  
ومن حسن الحظ أن الغنيمة كانت وافرة ، وخرجت أنا من هذه  
الغارة بثلاثة آلاف جنيه وجواهر قدرتها أم عبد الحميد بثلاثة آلاف  
جنيه أخرى ، وأخذ الرجال كفايتهم ، وقلت لمنسى : ورجال  
العباسية ، ماشأنهم ؟

قال : والله لا أدري ياسيدي ، هؤلاء اختفوا خلال نصف الساعة الأولى من الهجوم ، لا أدري فيم كان تفكيرهم عندما دبروا هذا الهجوم؟.

قلت : الآن لاشيء لهم عندنا ، أنا لا أشك في أنهم فازوا بشيء ضخم في الهجوم الأول ، فلما امتلأت أيديهم هربوا ، والآن لو أتوك أو أتوني فلا شيء لهم عندنا .

وأخذ كل من الرجال نصيبه ومضى ، وأقفلنا الباب وقامت أم عبد الحميد بوضع ما حصلنا عليه في صندوق كبير وقالت : الآن أنت تستريح ، سأخذ هذه الأشياء إلى مكان لا يعلم به أحد . والحمد لله على أن تمت هذه العملية على هذه الصورة ، وأقول لك الحق لقد كنت خائفة عليك ، والآن من رأيي أن أقول لكل من يسأل عنك أنك لست هنا .

- لا داعى يارقية ، نحن نعرف مالنا وماعلينا ، ونعرف كذلك بماذا نرد على من يطرق بابنا ، هذه آخر عملية أقوم بها لأننى أريد أن أعالج رجلى ، وياحبذا لو ركزنا الآن على محل العطارة ، سأحاول الراحة بضعة أيام ، وفي أثناء ذلك تكونين أنت قد اتصلت بمن جاء بعد منسى العطار لكي نعرف كيف يسير محل العطارة .

وقلت بعد قليل : هل تعرفين كيف نتصرف في هذا الذهب؟.

- ولماذا نتصرف فيه ؟ الذهب دايماً ذهب ، وهو دائماً أغلى ، سنحتفظ به كما هو وأظن أننا يستحسن أن نفتح حساباً في البنك

لكى نضع فيه هذه النقود ، ولكنى أرى أن تستريح الآن لأنك فى حاجة إلى الراحة فعلاً ، ونمت وقامت بتغطيتى ، وكنا فى منتصف الليل .

تحسنت حالى خلال بقية الأسبوع ، ولكن حالة رجلي كانت تسوء ، وأحسست أننى لابد أن أذهب إلى المستشفى وفعلاً ذهبت وكشف على الدكتور القلى ، وعملوا تحاليل وأشعات ثم قال لى :  
أظن يامعلم خليل أن رجليك فى حالة سيئة ، لابد أن أصارك بذلك ، وأنت رجل لست صغيراً .

— مالها رجلي ؟ .

— هو داء الفيل . دائماً حالته هكذا ، إن الرجل تسوء دائماً أكثر وأكثر وها أنت ترى كيف أن رجليك تورمت ، وستزداد تورماً ، ومن يدري فربما تفتتح .

— وماذا أعمل ؟ .

— سنجهد هنا فى إيقاف تقدم المرض ، ولكن شفاءه تماماً مستحيل . إنه مرض ملعون يبدو أن ذبابة تنقل ميكروبه إلى الإنسان .

— وما العمل ؟ .

— تستريح تماماً . على أى حال لن تستطيع الاستمرار فى الفتونة ، ولابد أنك تشعر الآن بإجهاد .

- فعلاً أنا أشعر أنني مجهد .

- ستبقى هنا معنا نحو عشرة أيام نوقف فيها تطور المرض ونطمئن على حالك ، ثم تعود إلى بيتك حيث لا بد أن تظل ساكناً في فراشك وتأتيني كل شهر مرة .

- يعنى حياتى انتهت !.

- لا ، ولا انتهت ولا حاجة ! ستعيش ، ومثلك لا بد أن لديه أموالاً كثيرة مدخرة .

- تصدق بالله يادكتور ؟ إننى خجلان أن أقول لك ، ولكن هذه هى الحقيقة : إننى لم أجمع مالا كثيراً من الفتونة ! كسبت كثيراً ولكنى أنفقت كثيراً لأن نظريتى كانت أن أخوض المعارك بنفسى ، وأن أوزع أكبر قدر من المال على رجالى حتى يظل إخلاصهم لى ، وفى الضربة الأخيرة مثلاً هجمنا على حى الباطنية وأخذنا ألوفاً من الجنيهات ولكنى وزعت على رجالى نحو خمسة آلاف جنيه .

- يعنى تريد أن تقول : إنك لا تستطيع أن تعيش كما تريد ؟.

- ليس على المستوى الحالى .

- إذا كنت تريد أن تعيش فى المستشفى ؟.

- لا لا لا يادكتور ، أعود إلى بيتى وأدبر أمرى وأنا

شاكر لك .

قال الدكتور : سأعطيك الآن أدوية مسكنة وأخرى مطهرة

وحاول أن تنام ، ستمكث معنا هنا عشرة أيام هذه المرة .

وعدت إلى بيتي بعد عشرة أيام . كانت حالة رجلى قد تحسنت  
ووجدت أن مأمور البوليس يسأل عنى ، فأرسلت محمد منسى  
الطنطاوى إليه ليبلغه أنى مصاب فى رجلى ، ولا أستطيع الانتقال  
وأتانى الرجل إلى البيت ، أحسست أنه يظن أننى لابد أن أكون قد  
فزت بغنيمة كبيرة ، فقصصت عليه كل شىء فاستمع إلى فى هدوء  
ثم قال : أنا فاهم ، معلش ، برضه تستطيع أن ترسل ألف جنيه  
نوزعهم على العساكر ، أنت تعرف أن هؤلاء الناس مرتباتهم  
بسيطة .

وقالت أم عبد الحميد : والله ياسعادة المأمور : إننا لا نستطيع  
أن ندفع إلا خمسمائة جنيه أنا زوجة المعلم ، وأعرف كل ماعنده ،  
وقد أنفق هذه المرة على من مات من رجاله ومن جرح نحو عشرة  
آلاف جنيه ..

فهز الرجل رأسه وقال : طيب هاتى الفلوس . ونادى شاويشاً  
أخذ المبلغ وخرج

وبعد خروجه قلت لأم عبد الحميد : كيف حال مركزنا الآن ؟.

— مش كويس ، ولكننا نستطيع أن نعيش . المهم أننى فهمت  
الآن أنك لابد أن تستريح .

قلت : سأستريح ، وأظن أننى سأترك الفتونة ، مارأيك فى محمد  
منسى الطنطاوى ؟.

- كويس ، شاب كويس .

- أقول : سأترك له قيادة رجالى وأترك أنا هذه الشغلانة نهائياً .

- افعل ماتريد .

وبالفعل ناديت منسى الطنطاوى وأبلغته بالأمر ، ودهش الشاب أول ما علم ذلك ولكنه سلم بالأمر وناديننا بقية الفرقة وأعلنت إليهم ذلك وقلت لهم : شوفوا يارجال ، إن شغلتنا هذه صعبة وكلها حرب ، وأنا تعبت ومرضت وأريد أن أترك هذا العمل نهائياً ، ولهذا اخترتُ محمد منسى الطنطاوى ، إنه من الآن فتوة شارع محمد على وحى الجمالية .

وقال واحد منهم : لن نعمل إلا معك !.

- أنا لن أعمل الآن ، إن رجلى مصابة والدكتور أمرنى بأن

أوقف العمل ، أرجو أن تتبعوه .

وتناقشنا طويلاً ، واستقر الرأى على أن يحل هذا الشاب محلى ،

وخرج مع بقية الرجال ، وبقيت مع أم عبد الحميد ، ولم يبق معى من الرجال إلا جمعه .

ولم أشعر بأى حزن لترك هذا العمل ، فعلاً كان لى فى البلد اسم

وهيئة وعظمة ولكن الشغلانة لم تكن مسلية لى على الأقل ، ثم إن

رجلى كانت تخيفنى فقررت أن نعيش فى هدوء وبعيداً عن كل ضجة

وتولت أمورى أم عبد الحميد ، فهى التى تملك كل ماتوفر لى من

المال ، فتركت لها الأمر كله ، وظللت فى بيتى الكبير أياماً ، ولكنى

أحسست أننى لا أستطيع الاستمرار فيه فجعلت أفكر فى أن أنتقل

إلى بيت أصغر .

وزارنى بعض الفتوات وعرضوا على أن أعمل معهم ، ولكنى

قلت لهم : إننى لا أستطيع الآن على الأقل ، فإن رجلى مريضة ولا بد أن أستريح ، وكان لخروجى من عالم الفتونة ضجة كبيرة فقد كنت فعلاً أملاً فراغاً واسعاً ، وكان من المعروف أننى أكبر فتوات مصر ، ولكن مثل هذا العمل ضجة كبيرة بلا حقيقة فى الواقع ، وعلى الرغم من اسمى الكبير فقد بدأ الناس ينسونى ، وحالى هذا شبيه بحال رجال السياسة : ترى الواحد منهم يملأ الدنيا طالما كان فى الوظيفة فإذا خرج منها لم يعد أحد يذكر اسمه .

ولا حظت كثرة الناس الذين يطالبوننى بنقود عندما علموا أننى مريض ، ولكنى وقفت صلباً . ثم إنه لم يكن لدى فعلاً نقود ، وأخيراً وعندما وجدت مع أم عبد الحميد أننا لن نستطيع الاستمرار على هذه الحالة قررنا ترك المنزل الكبير الذى كنا نقيم فيه ، والاستغناء عن ستة خدامين كانوا يعملون عندنا بالإضافة إلى بواب ضخم وكل هؤلاء كانوا يتكفون كثيراً .

وظللنا نقيم فى البيت مع ذلك ، ولكنى تبينت أن البوليس لا يسكت عنى ، فقد مضى عصر المأمور العظيم الذى كان يتعاون معى ، وجاء ضباط آخرون يظنون أننى رجل غنى جداً ، وبعد زيارات كثيرة من جانبهم اتفقت مع أم عبد الحميد على أن ننقل إلى هذا المسكن الذى وجدتنى فيه فإن إيجار الشقة هنا — غرفتان وصالة — جنيهان فقط ، ثم إن البيت يطل على شارع محمد على وسوق خضار العتبة ، فأنا هنا أتسلى فى حين أننى كنت أختنق من الوحدة فى البيت الكبير ، ثم إننى هنا مجهول أى أن أحداً لا يعرف أننى الفتوة القديم ، فأنا هنا مرتاح مع أننى تعبان صحياً ، لكنى على الأقل عايش كما ترى ، والآن وقد ساعدتنى فى علاجى

وتحسين أحوالى فأنا أحمد الله وأستطيع الحياة رغم مرضى .  
وبعد ، فهذه ذكريات فتوة ، إنها حياة ملأى بالضجة والاعمال  
الضخمة ولكنها حياة لا تسر ، وربما كنت أسر بها لو لم أكن من  
عائلة جواهرجية ، لأننى لا أحب السرقة ولا النهب ولا أرضى  
بالفساد ، ولكنى على أى حال استطعت أن أصل إلى أعلى مستوى فى  
عالم الفتونة أيام كانت الفتونة وظيفة اجتماعية وأمنية وقومية ، أما  
اليوم وبعد تقدم البوليس وأجهزة الأمن وقوة النظام الحكومى ، فلم  
يعد هناك مكان للفتونة ، وأنا الآن فى الثانية والستين وأحمد الله على  
أى حال .

وبينى وبينك أقول لك : إننى أعيش بفضل أم عبد الحميد ،  
فهذه السيدة أدخرت من مكاسبى فى الماضى ٤٠٠ جنيه ذهباً ،  
ولا أدرى أين تخفيها ، ولكنها على أى حال تصرف كل شهر جنيهاً  
ذهبياً لتنفق علينا منه ، ومصاريف علاجى كثيرة ، وأهى ماشية ،  
ثم إننى أحاول الاتصال بابنى إبراهيم الموجود الآن فى دمياط ، وقد  
علمت أن حالته طيبة وأنه تاجر ناجح ، والفضل لله ثم لى ، فأنا  
الذى زوجته من بنت تاجر غنى هناك ، ولا ننسى أن ابنى إبراهيم  
هذا تلميذك وله الفضل فى تعرفى عليك .

لقد قمت بعمليات بطولية كثيرة ، ولكن صدقنى أن البطل  
الحقيقى لكل معاركى هو هذا الشعب المصرى العظيم الصبور ، فى  
سبيله جاهدت والآن ها أنا أتفرج عليه من شباك هذه الشقة التى  
أجرتها أنت لى ، وأنا عايش والحمد لله .. لا تنسانى أرجوك !.

تمت والحمد لله

---

رقم الإيداع ٧٢٤٧ لسنة ١٩٩٣

الترقيم الدولي

I.S.B.N

977 — 5324 — 05 — X

---

